Al-Balqa Journal for Research and Studies **البلقاء للبحوث والدراسات**

Volume 9 | Issue 1 Article 10

الشعر الجاهلي والحياة العربية

علي حسين العتوم
جامعة اليرموك, alihusseinalatuwm@hotmail.com

الشعر الجاهلي والحياة العربية

علي حسين العتوم

كلية الآداب - جامعة اليرموك

The Pre - Islamic Poetry Used to Represent The Arab Life

ABSTRACT

This research gives the proofs that the pre-Islamic poetry expressed the life of the pre-Islamic people from the point of view of the social, economic, moral, political, and thoughtful life. The research see the truth in describing that life. So this research refutes the thought that was held by some orientalists, and some Arab researchers who were influenced by them namely Dr. taha Hussein that this poetry, was not real, because it does not represent the life of the pre-Islamic people. This poetry has described them far away from their international environment and they were nearer to Islam than polytheism, and so it did not reflect their polytheistic picture. In addition to that their social life was not described in the right way. According to this Taha Hussein said that Alkoran is the resource from which we have to get the real picture of their life, because Koran has described in it, as well as it has described their bad manners and their deep rooted polytheism.

This research has given the proofs that the previous thought, that was held by those suspicious, is ultimately not right, and it does not depend on right and real thought. It is not true that this poetry has pictured them as solitary, or does not describe their true life from its, different aspects. Although Koran has given the complete right of their life, yet Koran has its own concerns in this field as well as points. Finally we can say that the life of those people has been clearly expressed in their poetry.

تاريخ تسلم البحث: *2000/8/13*　　　　تاريخ قبول البحث: *2001/3/28*

ملخص

يعنى هذا البحث بالتدليل على أن الشعر العربي قبل الإسلام، عبَّر عن حياة أصحابه بمختلف ألوانها: الاجتماعية، والاقتصادية، والخلقية، والسياسية، والفكرية. فكان صادقاً في وصف هذه الحياة، وبذلك يرد به تلك الفكرة التي قال بها، بعض المستشرقين، ومن ثَمَّ نفر من الدارسين العرب، المتأثرين بهم، وعلى رأسهم الدكتور طه حسين، من أن هذا الشعر موضوع، لأنه لا يمثل حياة أصحابه، فقد صورهم منعزلين عن محيطهم الدولي آنذاك، وأنهم جميعاً أجوادُ وليس فيهم بخلاء، وأنهم أقرب إلى الإسلام منهم إلى الوثنية. ومن هنا لم تظهر صورتهم الوثنية واضحة فيه، إضافة إلى أن واقعهم الاجتماعي لم يكن مصوراً بالشكل المطلوب. ومن ثم ذهب إلى أنّ القرآن هو المصدر الذي يجب أن نلتمس صورتهم - على حقيقتها - فيه، لأنه صورهم متصلين بالعالم من حولهم مهتمين به كما صور شنائعهم الأخلاقية، ووثنيتهم المغرقة.

ولقد دلّل هذا البحث بالشواهد على أن تلك الفكرة التي أطلقها أولئك المتشككون بهذا الشعر فائلة، وأنها لا تستند إلى آراء رصينة. وليس صحيحاً أن هذا الشعر صورهم منعزلين، أو زيف صورتهم الحياتية بمتنوع جوانبها، ومع أن القرآن نطق بالحق المطلق عنهم في جاهليتهم، إلا أنه يبقى للقرآن اهتمامه في هذا الشأن، وللشعر اهتمامه، وإن كانا يتطابقان في بعض الأمور. وباختصار ، فقد ظهرت حياة هؤلاء القوم جلية في أشعارهم بغثها وسمينها.

مقدمة:

هل الشعر الجاهلي يرسم صورة صادقة لحياة أصحابة في مختلف جوانبها؟ إن الإجابة عن هذا السؤال، يشكل صلب البحث في القضية التي أنا بصدد الحديث عنها تحت هذا العنوان. والذي دفع إلى إفراد هذا الموضوع هنا بالبحث، أن بعض الدارسين المحدثين، ولا سيما الدكتور طه حسين، ينكرون قدرة هذا الشعر على تصوير حياة العرب قبل الإسلام تصويراً وافياً. فهو عنده "لا يمثل الحياة الدينية والعقلية والسياسية

والاقتصادية للعرب الجاهليين"[1]. وإذا كان طه حسين يعد القرآن الكريم أصدق مصور لتلك الحياة[2]، فلا علينا -جرياً معه إلى حين - أن نستشهد ببعض آيات القرآن التي ترسم لنا الملامح العامة لأولئك القوم، كي تكون لنا هادياً منذ بداية الطريق الذي نسلكه لمناقشة هذه القضية. قال تعالى: (هُوَ الذي بَعَثَ في الأُميِّنَ رسولاً منهُم يتلو عَلَيْهم آياته ويُزكِّيهِم ويُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ والحِكْمَةَ، وإنْ كَانُوا مِنْ قَبلُ لَفِي ضَلالٍ مبِيْنٍ)[3]. فالآية تقرر أن العرب قبل الإسلام، كانوا أميين ليس لهم كتاب، وكانت تنتشر فيهم الأرجاس، وتسيطر عليهم الحماقات، ولم يستقيموا على طريق واضح رشيد؛ فقد كانوا في ضلال مبين. ومن هذا الضلال، أنهم كانوا متنابذين يقاتل بعضهم بعضاً، مما قطّع أرحامهم وأفسد ما بينهم. ولذا فقد أمتن الله عليهم بالإسلام الذي وحّدهم بعد فرقة، وأنقذهم بعد إشراف على الهلاك. قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا، واذكروا نعمةَ اللهِ عليكم إذ كنتم أعداءً فألَّف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمتهِ إخواناً، وكنتم على شفا وحفرةٍ من النار فأنقذكم منها، كذلك يُبيِّن اللهُ لكم آياتهِ لعلّكم تهتدون)[4]. ومنه كذلك عكوفهم على القمار وإدمانهم على الخمر إدماناً جعل الإسلام يتخذ من التدرج في التشريع سبيلاً لتحريمها عليهم كي لا يفجأهم بأمر يعسر عليهم الانتهاء عنه دفعة واحدة، لشدة تمكنه من نفوسهم. وتضيف هاتان الآيتان إلى موبقتي الخمر والميسر، عادتي: عبادة الأصنام والاستقسام بالأزلام.

ولا ينفي عن العرب قبل الإسلام هذه الحقيقةَ، كونُهم أصحابَ أشعار وحكم، وتمتُّعُهم ببعض الخلال الحميدة فيما بينهم كالكرم والوفاء والإباء والشجاعة وحماية المستجير. فقد كانت هذه الخصال متلبسة في أكثر الأحيان بتصرفات غير لائقة، تشوه نقاءها. وهذه هي الجاهلية بعينها. وهي عدم الاستقامة على منهج واضح سليم، وغيمومة الهدف السامي أو انعدامه في أكثر الأحيان.

وقد تكون الجاهلية في النفس أو المجتمع، كلية أو جزئية، ولكنها جاهلية على كل حال.

وإزاء ذلك كله يبدو قول الدكتور يحيى الجبوري، وهو يتحدث عن حياة العرب قبل الإسلام، وما كان عندهم من شعر وخطابة ورسائل وأمثال وحكم مأثورة: "لا يصح أن يسمى من كانت هذه صفاتهم، وعندهم الحضارة العريقة المتدفقي أعماق الزمان، أبناء جاهلية جهلاء"[5]، قولاً فيه نظر، وإلا فماذا نسمي القوم الذين يقول شاعرهم مفتخراً بالبطش والظلم:

لَنَا الدُّنيا وَمَنْ أمسَى عَلَيها
ونَبْطِشُ حِيْنَ نَبطِشُ قَادِرِينا
بُغاةً ظَالِمِين وَمَا ظُلِمْنا
ولَكِنَّا سَنَبْدأ ظَالمِينَا[6]

غير أننا نستدرك فنقول: إن حياة العرب قبل الإسلام، وإن كان طابعها العام كذلك، إلا أنها لم تكن شراً كلها، بل كان يتخللها بعض العادات الحسنة والأعمال المجيدة التي كانت تبدو في هذه الجاهلية، كالواحة الظليلة في الصحراء اللافحة. ولعل هذه الخلال الكريمة في تصوري هي التي جعلت من العرب شعباً مستعداً لحمل رسالة الإسلام، التي تتطلب من حامليها توافر الطاقات الخَيِّرة، ولا سيما عندما توجه الوجهة السديدة كالتي وجهها إليهم هذا الدين الحنيف.

ولست أقصد من خلال هذا البحث إلى استقصاء تصوير الحياة العربية، دقيقها وجليلها من خلال الشعر الجاهلي، فإن هذا من عمل المؤرخ الأدبي، ولكنني أقصد إلى إعطاء صورة واضحة للأطر العامة لحياة الجاهليين، كي أجيب على ذلك التساؤل الذي افتتحت به هذه المسألة، سلباً أو إيجاباً، حسبما تهدي إليه معطيات الدراسة. وسأتناول هذه الحياة من خلال جوانبها الرئيسة الخمسة: الاجتماعي، والاقتصادي، والخُلُقي، والسياسي، والفكري.

1 - **الحياة الاجتماعية:**

أ – الأسرة: ما من ريب أن الأسرة هي اللبنة الأولى في البناء الاجتماعي وعناصرها ثلاثة هم: الرجل والمرأة والأولاد. فكيف كانت العلاقة بين هذه الأطراف الثلاثة في المجتمع الجاهلي؟ لقد كانت علاقة المرأة بالرجل تتبدى آنذاك في صور متعددة من أهمها صورتها زوجة أو بنتاً أو عشيقة. ولقد كان زواج الجاهلية على ضروب مختلفة كلها غير نظيف ما عدا ضرباً واحداً هو الذي قرره الإسلام فيما بعد، وهو أن (يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو بنته فيصدقها... وكان الخاطب إذا أتاهم قال: انعموا صباحاً. ثم يقول: نحن أكفاؤكم ونظراؤكم، فإن زوجتمونا، فقد أصبنا رغبة وكنا لصهركم حامدين، وإن رددتمونا لعلة نعرفها رجعنا عاذرين)(7).

وكان للمرأة شيء من الحرية في اختيار شريك حياتها، يدل على ذلك موقف الخنساء، لمّا حاول أخوها معاوية بن عمرو أن يكرهها على الزواج من دريد بن الصمة بعد أن رفضته، حيث أبت عليه وقالت: لا حاجة لي به وأنشدت:

تُباكرني حُميدةُ كلَّ يوم ... بما يُولِي معاويةُ بنُ عَمْرِو

فإلاَّ أُعطَ من نفسي نصيباً ... فقد أودى الزمانُ إذاً بصَخْرِ

أتُكْرِهُني هُبِلْتَ عَلَى دُرَيْدٍ ... وقَدَ أحْرَمْتَ سَيِّدَ آلِ بَدْرِ

مَعَاذَ اللهِ يَنكحُني حَبَركى ... قصيرُ الشبرِ من جُشَمَ بنِ بكْرِ

يَرىَ مَجْداً ومَكْرمَةً أتاها ... إذا عَشَى الصَّديقَ جَريْمَ تَمرِ(8)

فهي تقرر في هذه الأبيات أنْ لا بد أن يكون لها رأي في اختيار زوجها، كما تشترط في هذا الزوج أن يكون جميل الخَلْق والخُلُق، ليس بدميم ولا بخيل.

وكانت الحياة الزوجية شأنها في كل عصر، تمضي رضية سعيدة حيناً، يبادل الزوج زوجته حباً بحب، وإخلاصاً بإخلاص، كما يظهر من أبيات لذي الإصبع العَدواني في تذكر صاحبته أم هارون التي بعدت عنه، ومنها:

يَامن لقلبٍ شَـــديدِ الهَمّ مــــحـــزونِ
أمْـــــــسَى تَذَكـــــــرَ ريّـا أمَّ هـارونِ

فَـــقَـــد غنينَا وشـــملُ الدهرِ يجـمَــعُنا
أطيـعُ ريّـا وريـا لا تُـعَــــاصــــينـي

تَرمِي الوشـــاةَ فَــلا تخطِي مــقَـــاتلهمْ
بصَــــادقٍ منْ صــــفَـــاءِ الوُد مكنُونِ[9]

وحيناً تمضى شقية تعيسة ، تناكد المرأة زوجها، وتصغي لأقوال المفسدين، وخاصة إذا آنست من زوجها خصاصة ، وتدنِّياً عن مستوى أهلها في المعيشة ، كما هو الحال مع زوجة الجميحِ بن منقذِ الأسَدي التي كانت لا تفتأ تواثبه حتى لكأنها مجنونة :

أمْـسَتْ أمـامَـــةُ صَـمْـتـــاً مـا تُكلِّمُنا
مَـــجْنُونَةً أمْ أحـــــستْ أهْلَ خَــــرّوبِ؟

مَـــرتْ بِراكِبِ ملهـــوزٍ فَـــقَـــال لهـــا :
ضُــري الجُـمـيحَ ومـسـيــهِ بتـعـذيبِ[10]

ولقد وصف علقمة بن عَبَدَةَ التميمي (علقمة الفحل)، نفسية المرأة التي قد تحدد علاقتها بالرجل وصفاً دقيقاً وخالداً حيث قال :

فـــإنْ تســـألُوني بـالنســـاءِ فـــإنني
بصـــيـــرٌ بأدواءِ النســـاءِ طبـــيبُ

إذَا شـــــابَ رَاسُ المَرءِ أوْ قلَّ مـــــالُهُ

فـليـسَ لـهُ مـن ودهـنَّ نـصـيـــــب

يـردنَ ثـراءَ المالِ حـــــيثُ لقـــــينهُ

وشــرخُ الشـبــابِ عندهُنَّ عــجـيبُ (11)

وإذا لم يدم صفو الحياة بين الزوجين لسبب من الأسباب ، فإنهم كانوا يلجأون إلى الطلاق . ومن هذه الأسباب التي كانت تؤدي إلية : إفساد المرأة عن زوجها ،أو رغبة أهلها بها عنه ، أو عقمها ، أو نشوزها ، أو قلة ذات يده. ولقد كان زمام الأمر او العصمة -بتعبيرنا الإسلامي - بيد الرجل حينا وبيد المرأة حينا آخر حسبما تمليه الظروف . ومن عاداتهم أنهم كانوا يطلقون ثلاثاً. وكان الرجل يقول لامرأته: أنت طالق واحدة ، فهو أحق الناس بها، فإنْ طلقها اثنتين، فكذاك، فإن طلقها ثلاثا فلا سبيل له عليها. وقد قال الأعشى ، وتزوج امرأة، فرغب بها قومها عنه فتهددوه أن يضربوه إن لم يطلقها ، فقال:

أيَا جَـــارتَا بيني فـــإنكِ طالِقـــةْ

كـــذاكَ أمـــورُ الناسِ غـــادٍ وطارِقـــةْ(12)

والنشوز والعقم من أكبر الأسباب لانفصال الرجل عن المرأة . فالطلاق هنا حل لابد منه. وهو ينزل على قلب الرجل كالدواء للمريض ، أو الماء القراح للضمآن . فقد تزوج قتادة اليشكريّ أرنب الحنفية ، فلم تلد ، ونشزت عليه، فطلقها وقال:

تَجَـــهَّــــزي للطَّلاقِ واصطَبِـــري

ذاك دَوَاءُ الجَــــوَامِسِ الشُّـــمُسِ

مَـــــــا أنـتِ بِـالحَـنَّـةِ الـوَلُـودِ وَلا

عِنْدَكِ خَـــيْــــرٌ يُرْجى لِمُلْتَــمِسِ

لـلَـيّـلـتـي حِـينَ بِـتِّ طَـالِـقَـــــــةً

ألـذُّ عِـنْـدي مِـن لَيْـلَـةِ الـعُـــــرُسِ(13)

ومن عاداتهم السيئة في الزواج، زواج المَقْت، وهو أن يخلف الولد الأكبر أباه بعد موته على زوجته. والمَقتي"[14]، ذلك المتزوج أو ولده، وقد يقال له: الضيزَنُ. قال أوس بن حَجَرٍ:

وَالفارسيَّةُ فيكُمْ غَيرُ مُنكَرةٍ

فَكُلُّكُم لأبيهِ ضَيزَنٌ سَلِفُ [15]

وقد فرق الإسلام بين رجالٍ ونساءِ آبائهم وهم كثير... فمنهم تميم بن أُبَيٍّ بن مقبل، وكانت تحته دهماءُ امرأة أبيه وهو القائل:

هَلْ عاشقٌ نَالَ مِنْ دَهْمَاءَ حَاجَتَهُ

في الجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الدِّين مَرجُومُ؟[16]

أما البنون فكانوا محبوبين مكرمين في هذا المجتمع، شأنهم في أي مجتمع آخر، ولا سيما العربي. فهم قرة عين الأبوين، وعُدَّةُ القبيلة التي تُحمى بهم، إذ هم أطفال اليوم، فرسان الغد. ولهذا كان العرب "لا يهنئون إلا بغلام يُولد، أو فرس تُنتَجُ، أو شاعر يَنْبُغُ"[17]. ولقد كان العربي يحدب على بنيه، ويقف ضد من يوجه إليهم أية إساءة، ولو كان من أقرب الناس إليه. فلما أرادت زوجة عمرو بن شاس الأسديّ إيذاء ابنه عرار، رفض عمرو هذا التصرف، وانحاز إلى جانب ولده، وقال:

أرادتْ عِراراً بالهوانِ ومن يُرِدْ

عراراً لَعَمري بالهوانِ فَقَدْ ظَلَمْ

فإن كنتِ منّي أو تُريدينَ صُحْبَتي

فكوني له كالسَّمْنِ ربَّتْ له الأدمْ

وإلاّ فبيني مثلِ ما بانَ راكبُ

تَيَمَّمَ خَمْساً ليس في سَيْرِهِ أمَمْ [18].

وذلك على الرغم من أن عِراراً - كما يبدو - كان جافي المسلك مع زوجة أبيه. وهذا الموقف من زوجة أبي عرار تُجاه - وهو موقف مألوف من الضَّرَّات في كل عصر - يذكرنا

بموقف سمية زوج شداد من ابنه عنترة، إذ كانت تُضارُّه وتحرِّض أباه عليه، وإن اختلف موقف الأب هنا، فقد استمع شداد لاتهامات سميةَ لعنترةَ، وراح يعاقبه، ويهوي عليه بالعصا يضربه بها، مما دفع سمية هذه لأن ترق له فتبكي عليه، وتحجز عنه أباه، إذ لعلها شعرت بأن عنترة مظلوم. وقد وصف الشاعر ذلك فقال:

أمِنْ سُـــمَـــيَّـــةَ دَمعُ العَينِ تَذريفُ

لَوْ أنَّ ذا مِنْكِ قَــبْلَ اليــومِ مَــعــروفُ

تَجلَّلَتْنِيَ إِذْ أهْوى العَــصَــا قِــبَلي

كَــأنَّهــا صَنَمٌ يُعْــتــادُ مَــعْكُوفُ [19]

ولعل اختلاف الموقف من الأبوين تُجاه ولديهما، عائد إلى الوضع الاجتماعي لكل منهما، فعرار – على الرغم من سواد لونه – [20] حر، أما عنترة، فَعَبْدٌ لوناً وواقعاً.

وإذا كان الآباء يحدبون على أبنائهم (الذكور)، بشكل عام، وهو أمر طبيعي في كل زمان ومكان، فإن الأبناء بالمقابل، لم يكونوا – دائماً – يبادلون آباءهم هذا الحنو والحنان. حيث كان بعضهم آنذاك – كما هو الحال في كل زمان ومكان كذلك – يعق والده. ومما يصور هذا الجانبَ أبياتٌ تُنسب لأمية بن أبي الصلت الشاعر يشكو من عقوق أحد أبنائه، فيقول:

غَـــذَوْتُكَ مَـــولُوداً وعُلْتُكَ يافِــعَــاً

تُعَلُّ بِمَــــا أُحْنِي عَلَيكَ وَتَنْهَلُ

فَلَمَّــا بَلَغتَ السِّنَّ والغــايَةَ التي

إلَيْــهَــا مَــدَى مَــا كُنْتُ مِنكَ أؤمِّلُ

جَــــعَلْتَ جَـــزَائِي غِلْظَةً وَفَظَاظَةً

كَــأنَّكَ أنْتَ المُنْعِمُ المُتَــفَــضِّلُ [21]

وأما البنات فكُنَّ – عامَّةً – مكروهات في المحيط الجاهلي، يدل على ذلك المثل المشهور

عندهم: دفن البنات من المكرمات[22]. ولهذا الكره أسباب، جميعها غير منطقية. أهمّها أنها ليست عنصراً مقاتلاً، ولذلك فهي دون الرجل منزلةً، ومنها خوفهم عليها من السبي والفقر، وانتهاك الحرمة. ومما يصور هذا الكره، ما جاء في البيان والتبيين، من أن أحدهم وهو أبو حمزة الضّبّيّ هجر بيته، لأن امرأته ولدت له أنثى، فقالت لمّا رأت منه ذلك:

مَا لأبِي حَمْزَةَ لا يَأتينَا
يَظَلُّ في البَيْتِ الذي يَلينا
غَضْبَانَ ألاَّ نَلِدَ البَنينا
تَاللهِ مَا ذَلك في أيْدينا
وَإنَّمَا نَأخذُ مَا أُعْطينا
وَنَحْنُ كَالأرضِ لِزَرَّاعِينا
نُنْبِتُ مَا قَدْ زَرَعُوهُ فِينا [23]

ولهذا كان بعض الجاهليين يلجأون إلى دفنها حية تخلصاً من هذا الشر المُلِمِّ. وهو ما حكاه القرآن عنهم، مشنعاً عليهم هذه الفعلة المنكرة. قال تعالى: (وإذا الموؤدة سئلت، بأي ذنب قتلت)؟![24] ومع هذا فيحسن التنبيه على أن هذه العادة الذميمة لم تكن بالمنتشرة في الوسط العربي آنذاك، بل إن قبائل معينةً هي التي كانت تلجأ إليها كربيعة وكندة وتميم وافراد مغمورين[25]. اما الاتصال بالمرأة على صورة المخادنة، فقد كان مُيَسَّراً خارج حدود القبيلة، وفيما يعرف ببيوت صويحبات الرايات، وهن البغايا، أما داخل حدود القبيلة، فلم يكن الأمر سهلاً، لأن المرأة هنا تُحاط بأسوار منيعة من الأهل والعشيرة. وهذا ما يصوره امرؤ القيس بقوله:

وبَيْضَةِ خِدْرٍ لا يُرامُ خِبَاؤُها
تَمَتَّعتُ مِنْ لَهوٍ بِهَا غَيْرَ مُعجَلِ

تَجاوزتُ أحراساً وأهوالَ مَعْشَرٍ

عليَّ حراصٍ لو يُشِرُّونَ مقتلي[26].

أما الجمال الذي كان يُتَطلبُ في المرأة عند الجاهليين، سواء أكانت زوجة أم عشيقة، فهو نوعان: خَلقي، وخُلُقي، وكلاهما مُمثَّل في أشعارهم، فمن شواهد الصنف الأول، قول امرئ القيس:

ويا رُبَّ يومٍ قدْ لَهوتُ وليلةٍ

بآنسةٍ كأنَّها خَطُّ تمثالِ

يُضيءُ الفِراشَ وَجْهُها لِضجيعها

كمصباحِ زيتٍ في قناديلِ ذُبّالِ[27]

فهذا مثال الجمال المادي الذي يُعجب من المرأة بحسن قدها، وبياض نحرها، واستدارة عجيزتها، ودقة خصرها، واهتزاز قَوامها، وطيب رائحتها. ومن شواهد الصنف الثاني، قول الشنفرى:

لقدْ أعجبتني لا سقوطاً قِناعُها

إذا ما مَشَتْ ولا بذاتِ تَلَفُّتِ

تحلُّ بِمَنْجاةٍ مِنَ اللومِ بَيْتَها

إذا مَا بُيُوتٌ بالمذمةِ حُلَّتِ

أميمةُ لا يخزي نَثَاها حَليلَها

إذا ذُكِرَ النسوانُ عفَّتْ وجلّتِ [28]

وهذا مثال الجمال المعنوي الذي يعجب من المرأة بتسترها وتصونها وخفرها وعفتها، وبعدها عن مواطن الريب، بحيث تكون قرةَ عين لحليلها في غيابه وحضوره. ولا شك أنّ هذا النوع من الجمال، أجمل من النوع الأول وأفضل. وإن تعجب، فاعجب من هذا الصعلوك الذي تعجبه هذه الخصال في صاحبته، ولكنها الفطرة البشرية التي تميل إلى

التصون والتعفف.

ب – القبيلة: القبيلة هي الأسرة الكبرى في المجتمع الجاهلي، وتكاد تكون هي اللبنة الأولى في بنائه، وذلك لانتماء الأفراد إلى قبائلهم أكثر من انتمائهم إلى أسرهم، إذ المجتمع الجاهلي، مجتمع قبلي من الدرجة الأولى. ويتكون هذا المجتمع من عدة قبائل لا تشكل كتلةً واحدة، وذلك لضعف الروابط بينها بصورة عامة، بسبب الخصومات والمنازعات التي لا تفتأ تثور فيما بينها بين الحين والحين، ولذا كانت كل قبيلة تشكل كياناً مستقلاً وكأنها دولة قائمة بذاتها، وعلى رأسها أحد أبنائها ممن يتصف بأسمى صفات المروءة هو شيخ القبيلة، وتحت تصرفه جميع أفرادها ممن يحمل السلاح، وهم فرسانها وحماتها. وقد كان لكلّ قبيلة موطنٌ تمارس سلطاتها فيه، هو ما كانت تسميه الحمى، وكانت تدافع عنه بكل ما أوتيت من قوة. وما من شك أن أبرز الشخصيات في هذا الكيان، شعراء القبيلة الذين كانت لهم منزلةٌ مرموقة، إذ هم الناشرون لمكارمها، والمنافحون عن سيادتها، والمخلدون لانتصاراتها، والمعتذرون عن هزائمها. وهذا ما يفسر فرحهم بالشاعر ينبغ فيهم، واستبشارهم بمقدمه.

وأول ما تحرص عليه القبيلة في نظامها الاجتماعي والسياسي، أن يكون لها سيد يجمع أمورها، ويقودها إلى ما فيه عزتها ورفعتها. وكانت تتحرى أن يكون من كرامها، وأصحاب الفضل فيها. وفي ذلك يقول الأفوه الأودي (صلاءة بن عمرو):

لا يَصلحُ الناسُ فَوضىً لا سَراةَ لهمْ
ولا سراةَ إذا جُهّالهمْ سادُوا

تَبقَى الأمورُ بأهلِ الرّأي ما صَلَحَتْ
فإنْ تولتْ فَبالأشرارِ تنقادُ [29]

أما الصفات التي يُتطلَّبُ توافرها في الشخص حتى يكون سيداً في القبيلة، فكثيرة منها: عراقة النسب، وأصالة الرأي، وفصاحة اللسان، ورجاحة العقل، وانطلاق اليد

بالعطاء، والحدب على العشيرة، والجرأة في الموقف. ولهذه الصفات أو بعضها كان صخر ابن عمرو بن الشريد، أخو الخنساء سيداً في قومه. وقد قالت أخته ترثيه:

وإنَّ صــــخــــراً لَوالينا وســــيــــدُنا
وإنَّ صَــخْــراً إذا نشــتُــو لنَحّــارُ

وإنَّ صــــخــــراً لتــأتمُّ الهــــداةُ بهِ
كــــأنَّهُ عَلَمٌ في رأســــهِ نــارُ

حــــمّــــالُ ألويةٍ هبّــــاطُ أوديةٍ
شــــهّــــادُ أنديةٍ للجــــيشِ جــــرّارُ

نَحّــارُ راغــيــةٍ ملجــاءُ طاغــيــةٍ
فكّاكُ عــانيــةٍ للعظْمِ جــبّــارُ

فــرعٌ لفــرعٍ كــريمٌ غــيــرُ مــؤتشبٍ
جلدُ المريرةِ عندَ الجــمعِ فَــخّــارُ (30)

وقد يرث أحدهم السيادة عن آبائه وأجداده، فلا يبذل في ذلك عناءً، كما قال بشامة بن الغدير:

وجَــدتُ أبي فــيــهمْ وجَــدّي كِليــهِــمــا
يُطــاعُ ويؤتَى امــرُهُ وهوَ مُــحْــتَــبُ

فَلم أتَعَــمَّلْ للســيــادةِ فــيــهمُ
ولكن أتتني طائعــاً غــيــرَ مُــتْــعَبِ (31)

ولكن ذلك لا يعني على الإطلاق أن سيادته أتته مجاناً. فالواقع أن آباءه كانوا قد دفعوا – مسبقاً – ثمنها غالياً، ومهدوا له سبيلها، حتى أوصلوها إليه. ثم إن ذلك لا يعني بحالٍ أن يركن هذا – بعدما وصل إليه منها – إلى الدَّعة والخمول، إذْ لا بد له من الكفاح للاحتفاظ بها، والشاعر هنا يذكر ما يذكره، في معرض الافتخار بأجداده وآبائه، وأنه –

هو بالتالي – خيارٌ من خيار.

ومقابل الواجبات التي يقوم بها السيد تُجاه عشيرته، يحظى فيها ببعض الامتيازات، منها أن تطلق يده في أموالها يوزعها كيف يشاء. وفي هذا المعنى قال لَبِيدٌ:

إنَّا إذا التـقتِ المجـامعُ لم يـزلْ
مِنّا لِزازُ عظيـمَـةٍ جـشَّـامُـها

ومُـقَـسِّمٌ يُعطِي العـشـيـرةَ حَـقَّـها
ومـغَـذمِـرٌ لِحُـقُـوقـها هضّـامُـها

وقد جاء في تفسير هذين البيتين ما يلي: قوله: مقسم أي الذي يقسم بالعدل، ومغذمرٌ: هو الذي يضرب بعض حقوق الناس في بعض، فيأخذ من هذا، ويعطي هذا. والهضام: الذي يعطي قوماً ويحرم آخرين بتدبير. قال ابن قتيبة: إنه يعني هنا عامر بن الطفيل[32].

ومنها أن تحوطه بشوكتها فتشعره بالعزة والمنعة، فلا يخشى أحداً، ولو كان ملكاً. وهذا ما أشار إليه حاتم الطائي بقوله:

وأقـسمتُ لا أُعطي مليكاً ظُلامـةً
وحَـولي عَـدِيٌّ: كَـهلُهـا وغَـريرُها

أبَـتْ لِـيَ ذاكُمْ أسـرةٌ ثُـعلِـيَّـةٌ
كَـريمٌ غِناها مـسـتـعفٌّ فَـقـيـرُها[33]

وقد كانت القبيلة تحرص أن يسود جميع أفرادها: سادةً ومسودينَ، الوئام والتكافل، وأن تتصف بأسمى الصفات النبيلة. وبهذا كانت تفاخر غيرها وتُدل عليها. وما أجمل ما قاله زهير بن أبي سلمى في هذا المجال، يمدح بني مرة الذبيانيين قوم هَرِم بن سنان والحارث بن عوف:

وفِــيــهِمْ مــقــامــاتٌ حــســانٌ وجــوهُهم
وأنديةٌ ينتــابُهــا القــولُ والفِــعلُ
وإنْ جِــئْــتَــهُمْ ألفــيتَ حــولَ بيــوتهمْ
مــجالسَ قــد يُشْــفى بأحــلامِــها الجــهلُ
على مُكثــريهم رزقُ منْ يَعْــتَــريهِمُ
وعندَ المقلينَ الســمــاحــةُ والبــذلُ (34)

وجدير بالذكر أن أفراد القبيلة يدينون لها بالولاء التام، ولا يملكون أن يبتوا حبالهم من حبالها، بل يحرصون على مناصرتها على أية حال: ظالمةً أو مظلومةً. وهذه هي العصبية القبلية التي عبر عنها دُريد بن الصمة، بقوله من قصيدة في رثاء أخيه عبد الله:

أمَــرْتُهُــمُ أمــري بمنْعــرجِ اللِّوى
فلم يســتبــينوا الرشــدَ إلاَّ ضُــحَى الغَــدِ
وهل أنا إلاّ منْ غــزيَّةَ إن غــوت
غــويتُ وإن تَرْشُــدْ غَــزيةُ أرشــدِ (35)

2 - الحياة الاقتصادية:

تنوعت أساليب المعيشة في الحياة الجاهلية بتنوع البيئات والظروف. فمن المعلوم أن طبيعة بلاد العرب، لم تكن موحدة التضاريس، إذ فيها السهل والجبل، والساحل والصحراء، والبادية والحاضرة. ولهذا تعددت مهنهم بتعددها. فهم ما بين زارعٍ وصانع وتاجر وراعٍ وصياد. وقد كانت المهن الثلاث الأولى من اختصاص أهل الحواضر، والمهنتان الأخريان من مهن أهل البوادي والسواحل.

ولقد صور الشعر الجاهلي هذه البيئات المختلفة، وما أنتجته من أنماط معيشية متباينة، تصويراً واضحاً. وسأبدأ بالبيئات الحضرية داخل الجزيرة وخارجها. ففي مكة

حيث تزدهر التجارة شمالاً وشرقاً إلى الشام والعراق، وجنوباً إلى اليمن والحبشة، يقول وهب بن عبد قصي في إحضار هاشم من الشام البُرَّ، وإطعام قومه الثريد في السنين العجاف:

تَحَمَّلَ هاشمُ ما ضاقَ عنْهُ
واعيا أن يقومَ بهِ ابنُ بَيْضِ
أتاهمْ بالغرَائرِ مُتْأقاتٍ
منَ ارضِ الشام بالبرِّ النفيضِ
فأوْسَعَ أهْل مكّةَ من هَشيمٍ
وشابَ الخُبْزَ باللّحمِ الغَرِيضِ
فظلَّ القومُ بينَ مُكَلّلاتٍ
منَ الشِّيزى وحائرُها يَفِيضُ[36]

فالشاعر يقرر أن هاشماً بذَّ ابن بيض في الكرم. وابن بيض هذا هو - كما يقول الفيروز أبادي - تاجرٌ مكثرٌ من عاد، عقر ناقته على ثنية فسد بها الطريق، ومنع الناس من سلوكها[37] . وفي يثرب حيث تزدهر الزراعة، وتكثر الآبار، وينتشر النخيل، يقول كعب بن الأشرف اليهودي مفتخراً بما لهم من مزارع ومياه:

ولَنا بئرُ رواءُ جَمَّةُ
مَنْ يَرِدْها بإناءٍ يَغْتَرِفْ
ونخيلٌ في تلاعٍ جمةُ
تُخرجُ التمرَ كأمثالِ الأكُفَ
وصريرُ في مَحالٍ خلتهُ
آخرَ الليلِ أهازيجَ بِدُفّ[38]

وفي الطائف يعيش الناس حياة مستقرة متحضرة، لعلها ناشئة عن اشتغال أهلها

بالزراعة والتجارة معاً. فقد كانت أرضهم خصبة، ومناخهم معتدلاً حتى لكأنها قطعة من بلاد الشام. ولأجل هذا، امتدح الشاعر طيب عيشهم الذي تجافى عن حياة البداوة الغليظة:

لِلّهِ درُّ ثقيفٍ أيُّ منزلةٍ حَلُّوا بها بينَ أهْلِ الأرضِ والجبلِ

قومٌ تَخَيَّرَ طيبَ العيشِ رائدُهُمْ فأصبحوا يُلحقونَ الأرضَ بالحُلَلِ

ليسوا كمن كانتِ الترحالَ همتُهُ أخبثْ بعيشٍ على حَلٍّ ومُرْتَحَلِ[39]

وفي اليمن بلاد العرب السعيدة، كما كانوا يسمونها لخصب أراضيها، ازدهرت التجارة والصناعة والزراعة، وقامت الدول ذات الحضارة العريقة. ولقد ذكر الله سبحانه الحياة الرغيدة التي كان يعيشها أهلها في كتابه العزيز، فقال تعالى: (لقد كان لِسَبأٍ في مسكنهم آيةٌ، جنتانِ عن يمينٍ وشمال ، كُلُوا من رزقِ ربكم واشكروا له، بلدةٌ طيبةٌ وربٌّ غفورٌ)[40]، ومما يدل على خصب هذه البلاد، قول لبيد بن ربيعة مفتخراً بكرم أهله، وأنّ الضيف عندما يحل بهم، فكأنما نزل تَبالة من أرض اليمن:

فالضيفُ والجارُ الجنيبُ كأنَّما هبطا تبالَةَ مُخصِباً أهضامُها[41]

ولقد وصف أهل اليمن، فقيل فيهم: إنهم ما بين ناسج برد، ودابغ جلدٍ، وسائس قرد[42].

ولقد تُوِّجَتْ هذه الحضارة العريقة بالمُلك إذ قامت فيها الممالك الزاهرة وشيدت القلاع، والقصورة العامرة، كقصر غُمدان. ومما يشهد بذلك، ما مدح به أبو الصلت الثقفي، سيف ابن ذي يزن بعد أن طرد الأحباش من بلاده، فقال:

فَاشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُرتفقاً

في رأسِ غُمدانَ داراً منْكَ مِحْلالا[43]

وعلى أطراف الجزيرة من الشمال، قامت مملكتا المناذرة والغساسنة، وكانتا تتصلان بالفرس والروم بأسباب قوية. وقد هُيِّئ لهما من دواعي التحضر ما جعلهما تتمتعان بما تتمتع به الدول المتحضرة آنذاك من رغد العيش، وهناءته. يصور ذلك أبياتُ المُنَخَّل اليشكري في هند أخت عمرو بن هند، التي يقول فيها:

ولَقَدْ دَخَلتُ على الفتا

ةِ الخِدرَ في اليوم المَطيرِ

الكاعبِ الحسناءِ تَر

فُلُ في الدِّمَقْسِ وفي الحريرِ

فدفعتُها فتدافعتْ

مَشيَ القطاةِ إلى الغَديرِ[44]

فتلك أبياتٌ تصف مدى ما وصل إليه المناذرة من الترف والتبذل إلى درجة التخنث، بحيث أصبح الاختلاط بين نسائهم والأغراب، أمراً ميسوراً. أما الغساسنة، فهم – وإن كانوا أقل تنعماً من أبناء عمومتهم المناذرة – كانوا، إذا ما قيسوا بعرب الجزيرة، قد بلغوا شأواً عظيماً من التنعم في المأكل والملبس والمعايش، تصوره هذه الأبيات للنابغة الذبياني:

رِقاقُ النعالِ طيِّبٌ حُجُزاتُهُمْ

يحيَّوْن بالريحانِ يومَ السباسِبِ

تُحييهمُ بيضُ الولائدِ بينهمْ

وأكسيةُ الإضريجِ فوقَ المشاجبِ

يصونُونَ أجساداً قديماً نعيمهُا

بخالصةِ الأردانِ خُضْرِ المناكبِ[45]

وكما كانت التجارة والزراعة وراء حياة التنعم التي كان يرفل في أثوابها أهل مكة ويثرب والطائف واليمن، فإني أعتقد أن هاتين الحرفتين هما نفساهما اللتان كانتا وراء الحياة نفسها التي كان يحياها المناذرة والغساسنة بالإضافة إلى الملك. ويحدثنا أحد شعراء الجاهلية، وهو جابر بن حُنَيّ التغلبي، أن ملوك العراق كانوا يشتطون في فرض الضرائب على الناس في أسواقها، مما أثار حفيظته فراح يهدد ويتوعد:

وفي كلِّ أسواقِ العراقِ إتاوةٌ

وفي كلِّ ما باعَ امروٌ مكسُ دِرْهَمِ

ألا تستحي منّا ملوكٌ وتتقي

مَحارِمَنا لا يَبْوُؤُ الدمُ بالدمِ[46]

وبالإضافة إلى ذلك فإن بعض العرب كانوا يتخذون من حرفة الصيد وسيلة لكسب معاشهم، وخاصة إذا كانوا في فقر وفاقه، فصيد الوحش يحل عندهم مشكلة تكاد تمسك بخناقهم، ولا أدلَّ على ذلك من الأبيات التي يصف فيها الحطيئة أسرةً بدوية تسكن الصحراء، وقد نزل بها ذات يومٍ ضيف، فلم يجدوا ما يطعمونه، فقلقوا قلقاً شديداً، حتى كاد الأب يذبح ابنه ليقدمه طعاماً لضيفه خشية العار، من عدم إكرامه. وبينما هم كذلك إذا بقطيع من الحمر الوحشية يرد عين ما قريبة منهم، فأمهلها الأعرابي حتى شربت، وأرسل إلى إحداها سهماً من كنانته فخرت صريعةً، فاقتادها وصنع منها طعاماً لضيفه، فعمت الفرحة بينهم، إذ تخلصوا من هذه الورطة القاتلة:

فبينا همُ عَنَّتْ على البعدِ عانَةٌ

قدِ انتظمتْ مِنْ خَلفِ مِسْحَلِها نَظْما

فأمْهَلَها حتى تَرَوَّتْ عِطاشُها

فأرسل فيها من كنانتِه سَهْما

فَــخَــرَّتْ نَحُــوصُ ذاتُ جــحش فــتــيــةٌ
قــد اكــتنزتْ لحــمــاً وقــد طُبِّــقَتْ شــحــمــا
فــيَـــا بِشْـــرَهُ إذ جَـــرَّها نحـــوَ أهْلِه
ويا بشـــرَهـمْ لَمّـــا رأوا كلمَـــهـــا يدمى[47]

على أن بعضهم كان يتخذ منها هواية له، يمتع بها نفسه. ومن شواهد ذلك ما حكاه زهير بن أبي سُلمى عن عملية صيد خرج لها مع بعض رفاقه، حيث استعملوا لها غلاماً يصيد لهم الحُمُرَ الوحشية:

فَــبــينا نبــغّي الصــيــدَ جــاءَ غُــلامُنا
يدبُّ ويُخْـــفي شـــخْـــصَـــهُ ويضـــائِلُهْ
فــقـــال: شـــيـــاهُ راتعـــاتٌ بقـــفـــرةٍ
بمســتــأسـدِ القـريانِ حُــوٌّ مــســائِلُهْ[48]

غير أن العرب في الجاهلية، كانوا ينظرون إلى هذه الحرف نَظْرَةً فيها الكثير من عدم الارتياح والتقدير. كما كانوا يرون في الصيد – في غير ما هواية – وسيلة عيش المعدمين الذين لا يستطيعون كسب معاشهم بأطراف أسنتهم. ومن هنا هجا عمرو بن مَعدِ يكربٍ الزبيديُّ، بني زياد لاشتغالهم به، وفخر عليهم بقومه قادة الجيوش، وأصحاب الحروب:

أبَـنـي زيـادٍ أنـتـمُ فـي قـــــــــومـكـمْ
ذنـبٌ ونـحـنُ فـــــــــروعُ أصْـلٍ طَـيِّـبِ
نصِلُ الخَــمــيسَ إلى الخــمــيس وأَنْتُمُ
بــالقـــــهـــــرِ بـين مُــــربّقٍ ومُكّلبِ[49]

كما كانوا يرون في الزراعة مظهراً من مظاهر الذل والاستخذاء. فعندما طلب كسرى من بني بكر رهناً من أبنائهم ليكونوا في يده ضماناً أن لا يُغيروا على السواد من أرض العراق، بعد مقتل النعمان بن المنذر، وخيرّهم بين ذلك وبين الجلاء عن أرضهم أو القتال،

رفضوا ذلك، وقال شاعرهم الأعشى ، مهدداً له:

لَسنا كـمنْ جَـعَلَتْ إيادٌ دارَها
تكريتَ تنظرُ حبَّها أنْ يُحصدا
جَـعلَ الإلهُ طَعامنَا في مالِنا
رزقاً تَضَمَّنَهُ لَنا لَنْ ينفَدا[50]

أما الصناعة، فكانت أحقر مهنة في نظر العرب. وقد بقيت هذه النظرة فيهم إلى ما بعد الإسلام، ولعلها باقية إلى الآن. وكان مما هجا به النابغةُ، النعمان بن المنذر، أنه كان صائغاً، مع أن الصياغة صناعة ممتازة قد تفوق الحدادة مثلا، ولكنها صناعة على كل حال:

لـعنَ اللهُ ثمَّ ثنّى بلعنٍ
ربذةَ الصائغِ الجبانَ الجهُولا
منْ يَضُرُّ الأدنى ويعجزُ عن ضُرْ
رِ الأقاصي ومنْ يخونُ الخليلا
يجمعُ الجيشَ ذا الألوفِ فيغزو
ثمَّ لا يرزأ العدوَّ فتيلا

ولأسباب متعددة: اقتصادية، وجغرافية، واجتماعية، وجنسية، ظهرت في المجتمع الجاهلي طبقة قريبة الشبه بطبقة الفرسان، هي طبقة الصعاليك. وهم مجموعات من عشائر شتى خلعتهم عشائرهم، إما لجرائرهم التي لم يعودوا يحتملونها، وإما لسواد ألوانهم. وقد كان الطابع العام لهم، أنهم فقراءُ مُرملُون. وإزاء التناقضات العديدة التي كانت تسود المجتمع الجاهلي ما بين مناطق جدب، ومناطق خصب، وسادة وعبيد، وأصلاء وهجناءَ، وأثرياءَ وفقراءَ[52]، راح هؤلاء الصعاليك يتخذون من الغارات التي لاتفتر، سبيلاً للرد على هذه الأوضاع المتناقضة، تحدوهم الرغبة في سد عوزهم من جهة، والانتقام من

أصحاب مراكز القوى في ذلك المجتمع، من جهة أخرى. ولعل خير ما يمثل هذين الهدفين، قول عُروة بن الورد الذي لقب بعروة الصعاليك لحدبه عليهم:

لعلَّ انطلاقِي في البــــلادِ ورحلتِي
وشـــدّي حــيــازيمَ المطيــةِ بالرحلِ
ســيـدفــعني يومــاً إلى ربِّ هجــمــةٍ
يُدافعُ عنهــا بالعــقــوقِ وبالبــخلِ[53]

ومن الطريف في هذا النص أن الشاعر يصور لنا أن أول المُسْتَهْدَفينَ من غارته، هم الأغنياء البخلاء. وهذه الإشارة من أبي الصعاليك كافية – وحدها – لدحض إنكار طه حسين وجود أي شاهد في الشعر الجاهلي على تصوير الصراع بين الأغنياء والفقراء، وذلك في قوله: حَدِّثْني أين تجد في هذا الأدب: شعره ونثره، ما يصور لك نضالاً بين الأغنياء والفقراء[54].

3 - الحياة الخلقية:

كانت تسود بين العرب في الجاهلية، قيم خلقية رفيعة، طالما تمدحوا بها في أشعارهم، كالشجاعة والإباء وحماية الجار والتسامح والعفة والوفاء والكرم. ولا يعني هذا أن مجتمعهم كان يخلو من أخلاق ذميمة تنتشر بينهم، وما كانوا ليُنعتوا بالجاهلية لولا مثل هذه الأخلاق وغيرها. ولا مراء أن الخمر كانت تقف على رأس أخلاقها الذميمة هذه، بالإضافة إلى أخلاق أخرى قد تتولد من الأخلاق الإيجابية نفسها، إذا لم تُحملْ باتزان واعتدال.

ولقد كان العربي بطبيعته حراً أبياً، ينفر من الضيم ويأنف الذل والهوان. وفي هذا يقول المتلمس الضُّبَعِيُّ:

ولا تأخذنْ ضيماً وتقبلْ ضؤولةً
وموتنْ بها حُراً وجلدكَ أملسُ
فما الناسُ إلا ما رأوا وتحدثُوا
وما العجزُ إلا أن يضامُوا فيجلسُوا
ومن حذرِ الأيام ما حزَّ أنفَهُ
قصيرٌ وخاضَ الموتَ بالسيفِ بَيّهَسُ(55)

وكانت الفروسية مثلهم الأعلى، والجرأة والإقدام سبيلهم إلى المجد والعُلا. فالجبن عارٌ والفرار خزاية، إلا أن لا يجد المرء منه بدّاً، كما يقول عامر بن الطفيل:

لقدْ علمتْ عُلْيا هوازنَ أنني
أنا الفارسُ الحامي حقيقةَ جعفرِ
وقدْ علمَ المزنوقُ أني أكرّهُ
على جمعهمْ كرَّ المنيحِ المشهَّرِ
إذا أزورَّ منْ وقعِ الرماحِ زجرتُهُ
وقلتُ لهُ: ارجَعْ مقبلاً غَيْرَ مدبرِ
وأنبأتهُ أن الفِرارَ خزايةٌ
على المرءِ ما لم يبلِ جهداً ويُعْذرِ(56)

وهم إلى هذا أوفياء. يحرص الواحد منهم على ما استُحفظَ ولو أدى به ذلك إلى أفدح العواقب. وقصة المُعَلَّى الطائي مع امرئ القيس قصة مشهورة في تاريخ الأدب العربيّ. فقد كان المنذر ملك الحيرة يلاحق امرأ القيس، وهو يسعى لإدراك ثأر أبيه، وبينما هو كذلك ذات مرة، إذ التجأ إلى المعلى، وعلم المنذر بمُلْتَجِئَةِ، وأراد أخذه منه عَنْوةً. وقد كان المعلّى غائباً فأدخل ابنته قبة حريمه، ونادى في قومه فقاموا دونه ومنعوه منه. فقال امرؤ القيس يشكر للمعلى وقومه أياديهم عليه:

كـــــــأنّـي إذْ نـزلـتُ عـلـى المـعـلّـى

نزلتُ على البـــواذخِ منْ شَـــمـــامِ

فــمَــا مَلِكُ العـــراقِ على المُعلى

بمقـــتـــدرٍ ولا مَـلِـكُ الشـــآمِ

أَقَــرَّ حـشَى امـرئِ القـيسِ بن حُـجْـرٍ

بنُـو تيْـمٍ مـــصـــابيحُ الظلامِ[57]

وكانوا يجيرون من يأوي إليهم من الضعفاء والفقراء والمُدَفَّعين. وقد يكون هؤلاء غرباء خلعتهم عشائرهم لخلاف نشأ بينها وبينهم، أو مظلومين أكلت حقوقهم، أو رجال من العشيرة أصيبوا في أموالهم، أو نساء ذوات أطفال لا راعي لهم. ولأن هؤلاء جميعاً يكونون في ظروف حرجة، فإنهم كانوا عند العرب مادة طيبة للفخر بالحدْب عليهم، وإنقاذهم مما هم فيه من بؤس وحرمان.

وأشهر ما يحفظه لنا تاريخ الجاهلية من أمثلة على إجارة المظلوم والتعاون على أخذ الحق له ما قامت به قريش من إنشاء حِلْفٍ لهذه الغاية في دار عبد الله بن جُدعان، سمي بحلف الفضول، كان قد حضره الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام، وأثنى عليه في الإسلام[58]. وكان من أسباب إنشائه أن قيس بن نُشبةَ السُّلَمِيّ با ع متاعاً على أبي ابن خلف، فلواه وذهب بحقه، فاستجار برجلٍ من بني جُمَحَ فلم يجره، فقال قيس:

يـالَ قُـــصَـيٍّ كـــيفَ هـذا فـي الحـــرَمْ

وحُـــرمـــةُ البـــيتِ وأحـــلافُ الكرمْ

أظـلـمُ مـنْ لا يَـمْـنَـعَـنْ عـنِّـي الـظُّـلَـمْ[59]

فقام أبو سفيان ورد عليه ماله واجتمعت بطون قريش، فتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان على رد المظالم بمكة، وأن لا يظلم أحد فيها إلا منعوه وأخذوا له حقه. وفي هذا الحلف يقول بعض قريش:

تَيمَ بنَ مــــرةَ إن ســـألْتَ وهاشـــمـــاً

وزهرةَ الخـــيــــرِ في دارِ ابن جُـــدعـــانِ

مـــتـــحـــالفينَ على الندى مـــا غـــرَّدتْ

ورقـــاءُ في فننٍ من جـــذعِ كُـــتْـــمـــانِ

والصفح عن الزلات، والحلم على الأولياء، والتراحم بين الأقرباء، كانت سمات بارزة في ذلك المجتمع. فالتسامح من صفات الكرام الذين يودون تآلف الناس لا تنفيرهم. والناس بطباعهم خطّاؤون، والكريم يغتفر لإخوانه أخطاءهم. وما أبدع هذه الأبياتَ يرويها أبو البلاد التغلبي لحاتم الطائي في هذا المعنى:

وعـــوراءَ جـــاءت منْ أخٍ فـــرددتُها

بســـالمةِ العـــينينِ طالبـــةً عُـــذْرا

ولَو أنني – إذ قـــالَهـــا – قُلتُ مِـــثْلَهـــا

ولم أعفُ عنهـــا أورثتْ بيننا غِـــمْـــرا

فـــأعـــرضتُ عنهُ وانتظرتُ به غـــداً

لعلَّ غـــداً يبـــدي لِمُنْتَظِرٍ أمْـــرا[61]

وعلى الرغم من انتشار الموبقات في المجتمع الجاهلي، ومنها الزنا، فقد كان الجاهليون – بشكلٍ عام – يتمدحون بخَصلة مضادة لهذه الخلّة الشائنة، وهي العفة. قالت الخِرنقُ بنت هِفّانَ أخت طَرَفة بن العبد، تتمدح بخصال قومها من مرثية لها في بعضهم:

لا يَبْـــعَـــدَنْ قـــومي الذين هـــمُ

سمُّ العُـــداةِ وآفـــةُ الجُـــزْرِ

النـازلونَ بكلِّ مُـــعْـــتَـــرَكٍ

والطيِّـــبـــونَ مـــعـــاقـــدَ الأُزْرِ[62]

والشاهد، في البيت الثاني في عبارة: الطيبون معاقد الأزر.فهي كناية عن نظافة الفرج

وطهارة الذيل. وأكثر ما كانوا يمتدحون بالعفة عن الجارات. وأشهر من عرف بهذا عنترة العبسي، وذلك في قوله:

وأغضُّ طرفي إن بدتْ لي جارتي

حتّى يُواري جارتي مأواها[63]

ولا ريب أن فضيلة الكرم، كانت أعظم خصال في هذه البيئة الشحيحة الموارد، المتباعدة الأطراف، التي يحيا أهلها عامة، حياة رحلة وتنقل. وأحلى ما يكون الكرم عندهم في ليالي الشتاء الباردة، وقد جد بالناس الجدب والجفاف، وانجحرت كلابهم حتى ما تستطيع الهرير من شدة البرد. في هذه الأحوال الصعبة يفتخر العرب بإطعامهم الطعام، ودعوة الناس إليه دعوةً عامة، يقول طرفة:

نحنُ في المِشتاةِ ندعو الجَفَلَى

لا تَرى الآدبَ فينا يَنْتَقِر°[64]

وكان من علائم كرمهم أن يبرزوا قدورهم أمام بيوتهم، وأن يوقدوا النيران ليلاً ليهتدي بها الضيفان، فيأووا إليهم. قال حاتم:

وأُبرزُ قِدْري بِالفضاءِ قليلُها

يُرى غيرَ مضنُونٍ بهِ وكثيرُها

وليسَ على ناري حجابٌ يُكنها

لمستوبصٍ ليلاً ولكنْ أُنيرُها[65]

ومنها أن لا تنبح الطراقَ كلابُهم لتعودها مشاهدتهم على أبواب أصحابها، وفي هذا يقول حاتم الطائي:

وإنَّ كلابي قد أهِرَّتْ وَعُوِّدَتْ

قليلُ على منْ يعترِيني هريرُها[66]

ويجدر التنبيه على أن شيوع التمدح بالكرم، وكثرة الأشعار التي تُشيدُ بالكرماء في

المجتمع الجاهلي لا تعني بحالٍ خُلوَّ هذا المجتمع من البخل والبخلاء، بل على العكس من ذلك قد تكون هذه الإشادة وذلك التمدح، دليلين على وجودهما، إذ لا معنى لاستحسان قيمةٍ من القيم، إذا لم يكن لها قيمة مضادة في الواقع. ومما يؤكد وجود البخل في ذلك المجتمع، كثرةُ الأشعار التي تستقبحه، وتزري بأصحابه. وهو ما يقرره الدكتور أحمد الحوفي بقوله: على أن تنفيرهم من البخل دليل على وجوده، وإلا فلماذا يهجونه وينفرون منه؟ إن الداعين إلى الخير والمنفرين من الشر، إنما ينفرون من شرٍ واقعٍ في المجتمع، ويريدون أن يطهروا المجتمع منه"[67].

والذي دفعني مع الدكتور الحوفي لإثبات هذه الحقيقية، أن الدكتور طه حسين يرى أن الشعر الجاهلي الذي بين أيدينا، ليس فيه تصوير لحياة العرب الاجتماعية والاقتصادية على حقيقتها. فهذا الشعر – على حد زعمه –"لم يصور العرب إلا أجواداً كراماً مُهِينين للأموال مسرفين في ازدرائها. ويستنتج اعتماداً على ذم القرآن للبخل والطمع، أنهما كانا من آفات ذلك المجتمع، وأن العرب في الجاهلية لم يكونوا كما يمثلهم هذا الشعر اجواداً متلفين للمال مهينين لكرامته، وإنما كان منهم الجواد والبخيل، وكان منهم المتلاف والحريص، وكان منهم من يزدري المال، ومنهم من يزدري الفضيلة، والعاطفة في سبيل جمعه وتحصيله"[68]. وهو يبني على رأيه هذا، إنكاره للشعر الجاهلي جملة أو تفصيلا، باعتبار أنه لا يمثل الحياة الجاهلية على حقيقتها.

وفي كلام طه حسين قدرٌ كبير من المغالطة، أمّا أن العرب كان فيهم الجواد والبخيل، فأمرٌ لا نختلف معه فيه، لأنه بدهي في المجتمع الجاهلي، بل في أي مجتمع إنساني آخر، وأمّا أنّ هذا الشعر لم يكن يصفهم إلا أجواداً، فهذه مغالطة فظيعة، إن لم تكن تعامياً عن الحقيقة. فهذا الشعر كما أشار إلى الكرم ومدحه، أشار إلى البخل وذمه. والشواهد على ذلك جمة غفيرة، بحيث استطيع القول: إن أية قصيدة تمدح الكرم، لا تكاد تخلو من ذمٍ للبخل والبخلاء. فهذا حاتم الطائي يقول:

إذا كـــــــانَ بـعـضُ المـالِ ربـاً لأهـلِـهِ

فـــإني بحـــمـــدِ اللهِ مـــالي مُـــعـــبَّـــدُ

كــــذاك أمـــــورُ الـناسِ راضٍ دَنيَّـــــةً

وســــامٍ إلى فـــــرعِ العُــــلا مُــــتَـــوَرِّدُ

فـــــمنهم جـــــوادٌ قـــــد تلفتَ حـــــولهُ

ومنـهم لـئـــــيمٌ دائمُ الـطرفِ أقـــــودُ[69]

وقد كان بعض العرب يدعو إلى تثمير المال والحرص عليه. فهذا المتلمس الشاعر الجاهلي المشهور، يدعو إلى هذا المسلك ويُشيد به في قوله:

لحـــــفظُ المالِ أيســـــرُ منْ بُغـــــاهُ

وضـــــرْبٍ في البـــــلادِ بغـــــيـــــرِ زادِ

وإصـــــلاحُ القليلِ يـزيدُ فـــــيـــــهِ

ولا يبـــقى الكثـــيـــرُ على الفـــســـادِ

وتذكر الأخبار ان حاتماً الطائي لما سمعه، قال: ماله قطع الله لسانه، يدعو إلى البخل ويحث عليه[70]؟!

وقد اشتهر بعضهم بالبخل حتى عرف به. ومنهم رجلٌ من بني هلال يدعى مادراً. وفي المثل: «أبخل أو أنوم من مادر"، قيل: إنّه سقى إبله فبقي في أسفل الحوض ماءٌ قليل، فسلح فيه، ومدر حوضه بخلاً أن يُشرب من فضله"!![71] كما عرف بعضهم بهجاء الأضياف، ومنهم مُزَرِّد أخو الشماخ[72]، الذي حلف أن لا ينزل به ضيف إلا هجاه [73].

ومنهم – وإن كان إسلامياً – اللعين المنقري (منازل بن ربعة)، وهو القائل:

وأبْغُضُ الضـــــيفَ مـــــا بي جلُّ مـــأكلهِ

إلا تَنَفُّـــــجُـــــهُ حـــــولي إذا قَـــــعـــــدا

مـــا زالَ ينفجُ كـــتـــفـــيـــهِ وحـــبـــوتهُ

حـــتّى ظننتُ بأن الضـــيفَ قـــد ولَدا[74]

وإذا كان ما مر من قيم خلقية فاضلة يمثل في حياة العرب بركة لألاءةً نقية، فإنها كانت تشاب بين الحين والحين بأوضارٍ تعكر صفوها، وتشوه جمالها. وأعني بهذه الأوضار تلك الخلال الذميمة التي كانت تنطوي عليها حياتهم، ولا سيما مقارفة الزنا، ومعاقرة الخمر. أما الزنا، فقد كان منتشراً عند العرب آنذاك، إذ كان الزواج فيهم على أربعة أضرب، منها ضرب واحد شبيه بالزواج الإسلامي، والبقية كلها أنواع من الزنا والفجور[75]. ولقد كانت بيوت صويحبات الرايات، وهن البغايا، كثيرة في أرجاء الجزيرة العربية، يدلف إليها الفساق في ذلك المجتمع. ولقد صور الشعر الجاهلي هذا القطاع من الحياة تصويراً واضحاً، نجده عند امرئ القيس وطرَفة والأعشى. فدبيب امرئ القيس إلى النساء في جوف الليل، مذكورٌ في قصائده ومشهور. ولْنَنْظُرْ إلى هذه الأبيات التي تدل على تعهره وفجوره:

ألا زَعَـــمَتْ بســـبـــاســـةُ اليـــومَ أنّني

كـــبـــرتُ وألا يحـــسنَ اللهـــوَ أمـــثـــالِي

كـــذبتِ لقـــد أُصـــبي على المرءِ عِـــرْسَـــهُ

وأمْنَـعُ عـــرسي أن يُزَنَّ بهـــا الخـــالِي

ويا ربَّ يـومٍ قـــــــدْ لهـــــوتُ وليـلـةٍ

بآنســـــةٍ كـــأنهـــا خطُّ تِمْـــثـــالِ

إذا مـا الضـجـيعُ ابتَـزَّها من ثيـابِهـا

تميلُ عليـــه هَوْنَةً غـــيـــرَ مِـــجْـــبـالِ

ســـمـــوتُ إليـــهـــا بعـــدمَـا نامَ أهلُهـا

سُـمُـوَّ حـبـابِ الماءِ حـالاً على حـالِ[76]

وإني، وإنْ كنت لا أعتقد أن الزنا كان السمة البارزة لهذا المجتمع، إلا أنه كان عادة متفشية فيه، ولعل بعضه كان مسموحاً به في أعراف الناس وتقاليدهم، فقد كان بعضهم يأمرون به زوجاتِهِمْ، رجاءَ الإنجاب وتحسين النسل[77]!! وكان بعضهم يستزني جواريه تمولاً وتكسباً[78].

وأما الخمر فهي أدوى أدواء الجاهلية. وما من ريب أنها أخبث من الزنا، بل هي أم الخبائث، كما وصفها رسول الله، صلى الله عليه وسلم[79]، ويكمن خطرها بأن شربها أصبح عادة، بل عرفاً لا ينكره المجتمع الجاهلي، بل يتمدح به، ويزعم أنه مما يبعث على الجود والكرم، ومكارم الإخلاق، فهذا عمرو بن كُلثوم يقول في معلقته:

ألا هُبي بصحنكِ فاصبحينا

ولا تُبقي خُمور الأندرينا

مشعشعةً كأنَّ الحُصَّ فيها

إذا ما الماءُ خالطها سَخِينا

ترى اللَّحِزَ الشحيحَ إذا أُمِرَّتْ

عليهِ لمالهِ فيها مُهينا[80]

ومن معالم فلسفتهم في تسويغ شربها، أن الحياة – لا بد – فانية، وأنه لا حياة بعد الموت، وسيسوي القبر بين الكريم والبخيل، فما على الإنسان، والحال هذه، إلا أن يعب منها حتى الثمالة كي لا تدركه المنية ولم يقضِ منها وطره، وهذا ما عبر عنه طرفَة بن العبد بقوله:

ولولا ثلاثٌ هنَّ من عيشةِ الفتَى

وجَدِّكَ لم أحْفِلْ متَى قام عُوَّدي

فمنهنَّ سَبْقي العاذلاتِ بِشَرْبَةٍ

كُمَيْتٍ متى ما تُعلَ بالماءِ تُزْبِدِ

كــــريمٌ يُروِّي نفـــســــهُ في حـــيـــاتهِ

ســتــعلمُ إن مــتنا غــداً أينا الصَّــدي[81]

لقد أدمن الجاهليون على الخمر حتى جرت منهم مجرى الدم في العروق، واستعبدتهم حتى لم يكونوا يتصورون إمكانية التخلص منها. على أن بعض عقلائهم بعد طول تجربة وممارسة، أدرك داءَها الدوي، فاحترم إنسانتيه وأقلع عنها. فهذا قيس بن عاصم المنقري أحد سادة بني تميم المشهورين، سكر يوماً فَغَمَزَ عُكْنَةَ[82] ابنته، فلما أخبِر بذلك حرمها وقال:

رأيتُ الخـــمـــرَ مُـــصلحـــةً وفـــيـــهـــا

خـــصـــالٌ تفـــســـدُ الرجلَ الكريما

فـــلا واللهِ أشـــربُهــــا حَـــيـــاتي

ولا أدعُـــــو لهـــــا أبداً نـدَيِمـــــا[83]

4 - **الحياة السياسية:**

أعني بالحياة السياسية علاقات العرب بعضهم مع بعض من جهة، وعلاقاتهم مع غيرهم من جهة أخرى. وعلى هذا فسيشتمل حديثي هنا على الوجهين: الداخلي والخارجي للسياسة العربية في ذلك العصر.

أ – السياسة الداخلية: كان النظام السائد في المجتمع الجاهلي هو النظام القبلي. وهو يعني اعتزاز كل قبيلة بنفسها، وعدم إقرارها بتفوق غيرها عليها. ولما كان لكلٍ منها مصالحها التي يتطلب الحفاظُ عليها قوةً وبأساً، وكانت هذه المصالح معرضة للعدوان، فإن المنازعات كانت الطابعَ العام للعلاقات السياسية بين هذه القبائل. وهو ما عبر عنه دريد بن الصمة مفتخراً:

يُغارُ علينا واترينَ فَيُشْتَفي

بِنا إنْ أصبنا أو نُغيرُ على وِتْرِ

بذاكَ قسمنا الدهرَ شطرينِ بينَنا

فما ينقضي إلاّ ونحنُ على شطرِ(84)

فحياتهم بين كرٍّ وفرٍّ، فهم أحياناً مُغيرون، وأحياناً مُغارٌ عليهم، ولقد أصبحت إجابة الصريخ، ظالماً كان أو مظلوماً، هي القيمةَ المثلى التي يمتدحون بها، ويهجون من تلكأ عنها، حتى إنهم لم يستجيزوا مقابلة السيئة بالحسنة، لأن ذلك إنما كان في عُرفهم، جبناً وتواكلاً. فهذا قُريطُ بين أُنَيْفٍ العنبريّ يهجو قبيلته، لأنهم لم يطيروا إلى الشر زُراقاتٍ ووحداناً لنصرته، ويتمنى لو استبدل بهم غيرَهم:

لو كنتُ من مازنٍ لم تَسْتَبِحْ إبلي

بنُو اللقيطةِ منْ ذُهل بنِ شيْبانا

قومٌ إذا الشرُّ أبدى ناجذيهِ لهمْ

طارُوا إليهِ زُراقاتٍ ووحدانا

لا يسألونَ أخاهُمْ حينَ يندبُهمْ

في النائباتِ على ما قالَ بُرهانا

لكنَّ قومي وإن كانُوا ذوي عددٍ

ليسُوا من الشرِّ في شيءٍ وإن هانا

يجزون منْ ظلمِ أهلِ الظلمِ مغفرةً

ومنْ إساءةِ أهلِ السوءِ إحسانا

فليتَ لي بِهِمُ قوماً إذا ركبوا

شدُّوا الإغارةَ فُرساناً ورُكبانا(85)

وكان أكثر ما يثير حفائظهم، أن يعتدى على نسائهم، هناك يهبون كالأسود لا يقف لهم

شيء، إذ لا خير في العيش بعدهن، لأنهم حينئذٍ سيجللون بالعار إذا عجزوا عن حماية حريمهم. يقول عمرو بن كُلثوم:

على آثارنا بيضٌ حِسانٌ
نُحاذرُ أن تقسَّمَ أو تَهُونا

يقتنَ جيادنا ويقلنَ لستمْ
بُعولتَنا إذا لمْ تمنعونا

إذا لم نحمهنَّ فلا بقينا
لشيءٍ بعدهنَّ ولا حيينا

وما منعَ الظعائنَ مثلُ ضربٍ
ترَى منهُ السواعدَ كالقُلِينا[86]

وأعيب ما كانوا يُعابون به أن ينام الواحد منهم عن إدراك ثأره، أو يقبل بالدية عن الدم أو يلجأ إلى النحيب والعويل سلاحاً في التحزن على قتيله. فالقتل أنفى للقتل كما يقولون. ومن هنا كان يُعيَّرون بأخذ الدّيات. فهذه أم عمرو بنت وقدان تقول في أخ لها قُتل وقد فكرت عشيرته في أخذ الدّية عنه:

إنْ أنْتُمُ لمْ تطلبُوا بأخيكمُ
فذروا السلاحَ وَوَحِّشُوا بالأبرقِ

وخذُوا المكاحلَ والمجاسدَ والبسوا
نُقبَ النساءِ فبئسَ رهطُ المُرْهَقِ[87]

فهي تعيرهم إن لم يأخذوا بثأر أخيهم أن يفعلوا فعل النساء: فيتكحلوا ويتطيبوا ويلبسوا النقَبَ، فهو أنسب لهم، وبئس هم – حينئذٍ – من قوم!!

إن تأصل العصبية القبلية[88] التي كانت تحدو خطا الجاهلي في كل تحركاته، بالإضافة إلى قلة الموارد الطبيعية، هما اللذان دفعا العرب لسلوك سبيل المشاحنات، وأرثا

بينهم نار العداوات. وكان أن أثمر كل ذلك حروباً متصلة لا يكاد يهدأ لها أوار، سواء أكان ذلك بين جذمي العرب الشهيرين: القحطانيين والعدنانيين، أم بين القبائل العدنانية أو القحطانية بعضها مع بعض، وقد عرفت هذه الحروب باسم الأيام.

1 - أيام قحطان وعدنان: وهي كثيرة[89]، سأقتصر منها على يومين هما: خَزازى، وحُجْر. أما خزازى، فكان من حديثه أن ملكاً من ملوك اليمن، كان في يديه أسارى من مضر وربيعة وقضاعة، فوفد عليه وفد من أكابر مَعَدّ، فاحتبس بعضهم وقال للآخرين: ايتوني برؤساء قومكم لآخذ عليهم المواثيق. فلما رجعوا وأخبروا قومهم، اجتمعت قبائل معد على كُليب وائلٍ وساروا نحو قبائل اليمن، فاجتمعوا على جبل خزازى، فسار نحوهم كليب بمجموعه واقتتلوا، فكانت الدائرة لمعد على مذحج. وفي ذلك يقول السفّاح التغلبي، وكان من قُوّاد معد:

وليلٍ بتُّ أوقدُ في خزازَى
هديتُ كتائباً متحيراتِ

ضللنَ منَ السهادِ وكُنَّ لولا
سهادُ القومِ أحسبُ هادياتِ

فكنَّ مع الصباحِ على جذامٍ
ولخمٍ بالسيوفِ مُشَهَّراتِ[90]

وأما يوم حُجر[91]، فمن حديثه أن حُجر بن الحارث الكندي أبا امرئ القيس الشاعر، كان ملكاً على بني أسد بأمرٍ من أبيه، وكان له عليهم كل سنة إتاوة، وقد غَبَر على ذلك زمان. وفي إحدى السنين بعث بِجُباتهِ ليحصل الإتاوة، فامتنعوا عليه، وأهانوا رسله. فلما علم بذلك جمع لهم جموعاً ممن تحت ملكه وملك بعض إخوته، وسار بهم نحوهم فأثخن فيهم قتلاً وسبياً وأباح أموالهم، وضربهم بالعصا، فسموا من يومئذ، عبيد العصا، وبعد موت الحارث أبي حجر، أرادت بنو أسد أن تغسل عنها عار إهانة حجر لها، فاجتمعوا

وقرروا الفتك به، ففعلوا . وفي هذا يقول ولده امرؤ القيس:

أتـانـي حـــــــديـثٌ فـكـذبـتــــــــهُ
وأمـــــــرٌ تـزعـــــــــزعُ مـنـهُ الـقُـلـلْ

لـقـــــــتلِ بـنـي أســـــدٍ ربـهـــــا
ألا كـلُّ شـيْ ســــــــــــواهُ جـلـلْ

فــــــأيـنَ ربـيـــــعـــــــةُ عـنْ ربـهـمْ
وأيـن الـسَّـكُـونُ وأيـنَ الـخَـــــــــوَلْ

ألا يـحـــــضـــــــرونَ لـدى بـابـهِ
كـــمـــا يـحـــضـــرونَ إذا مـــا أكلْ(92)

وقام امرؤ القيس بمحاولة أخذ الثأر لأبيه متهدداً متوعداً، قائلاً:

تـالـلـه لا يـذهـبُ شــــــيـــــــــخـي بـاطـلا
حـــــتَّـى أُبـيــــــرَ مــــالـكـاً وكـــــاهِـلا(93)

وحرّم على نفسه الخمر، وطاف في القبائل يستنصرها، وقد أصاب من بني أسد مقتلة عظيمة، ولكنه لم يكتفِ بذلك، فيمم وجهه شطر القسطنطينية لهذا الهدف، غير أنه مات في أنقره من أرض الأناضول كما تقول الأخبار(94).

2 - أيـــام العـدنانيـــين: وهـي كـثـيـرة. ولا شك أن أشـهـرها يومـا: البـسـوس، وداحس والغبراء (95) أما البسوس، فاسمٌ جامع لعدة حروب وقعت بين بكر وتغلب، منها :أيام النِّهْي، وواردات، وعنيزة، والقُصيبات، وتحلاق اللِّمَم. وكان سببها، أن كليب وائل بعد أن فض جمع اليمن في خزازى، أصابه الغرور فحمى مواقع السحاب، فلا ترعاه إلا ماشيته. وفي أحد الأيام خرج فرأى مع إبله ناقة لخالة جساس بن مرة، ابن عمه، وأخي امرأته جليلة، فرماها فقتلها. فجاءت البسوس إلى ابن أختها جساس تشكو له فعل كليب، فقال لها: اسكتي، فسأقتل بناقتك جملا، وهو يقصد كليباً نفسه.

وتحين جساس الفرصة فقتل كليباً، فثارت ثائرة الحرب بين الحيَّيْن، ودامت أربعين سنة. ولقد أبلى فيها المهلهل أخو كليب بلاء عظيماً، وصور ذلك في شعره، فقال من قصيدة له:

أليلتنا بذي حُسَمٍ أنيري
إذا أنتِ انقضيتِ فلا تحوري
فلو نبشَ المقابرُ عنْ كليبٍ
ليعلمَ بالذنائبِ أيُّ زيرِ
بيومِ الشعثمينِ لقرَّ عيناً
وكيفَ لقاءُ منْ تحتَ القبورِ
وإني قدْ تركتُ بواردات
بُجَيْراً في دمٍ مثلِ العبيرِ
كأنّا غدوةً وبني أبينا
بجنبِ عُنَيْزَةٍ رحيا مُديرِ

وأما داحس والغبراء، فحرب وقعت بين عبس وذبيان بسبب رهن في سباق جرى بين خيلي سيدين من سادتهما هما :قيس بن زهير العبسي، وحذيفة بن بدر الفزاريّ، فأجرى قيس داحسا والغبراء، أما داحس، فبعد أن كان الأول، لطمة رجلٌ من بني أسد باتفاق مسبق مع حذيفة بن بدر، فجاء متأخراً، وطلب قيس حذيفة بقيمة الرهن، ولكنه أبى الاعتراف بسبق خيله. ودارت الحرب بين قَبيلَتَيْهِما، وكانت سجالاً، واستمرت عشر سنين، وكان من أبطالها المغاوير، عنترة العبسي. ومن أيامها: المريقب، وذو حساء، واليعمرية، والهباءة، وفروق، وقطن. وفي يوم الفروق يقول عنترة:

ونَحنُ منعنا بالفروقِ نساءَنَا
نُطَرِّفُ عنها مشعلاتٍ غواشيا

حلفتُ لهـا والخيل تدمَى نحـوُرها

نفارقكمُ حتى نهـزَّ العواليـا[97]

ولقد أفسدت الحرب ما بين القبيلتين، حتى ندموا على ما جرى بينهم من قتل الأقرباء وابناء العمومة. وأخيراً تداعى العقلاء لرأب الصدع، وإصلاح ذات البين. وفاز بهذا الشرف العظيم بنو مرة، إذ قام سيداها: هَرِمُ بن سنان والحارث بن عوف، فتحملا ديات القتلى من مالهما، وأصلحا بين الحيين. وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى، بمدحهما:

فأقسمتُ بالبيتِ الذي طافَ حولهُ

رجالُ بنوهُ من قريشِ وجُرهمِ

يميناً لنعمَ السيدانِ وُجِدْتُما

على كلِّ حالٍ من سحيلٍ ومُبرمِ

تداركتُما عبساً وذبيانَ بعدما

تفانَوْا ودقُّوا بينهمْ عطرَ منشمِ[98]

3 - أيام القحطانيين: وأشهرها ثلاثة هي: بُعاث، وعين أباغ، وحليمة. أما بعاث فكان بين الأوس والخزرج، لثارات بينهما سابقة كان يؤججها كلما خبت بينهم، اليهود. وكان للأوس وحلفائها من بني النضير وقريظة على الخزرج. وكان قبل الإسلام بثلاث سنوات، فجاء الإسلام وأصلح ذات بينهما، وقضى على ثاراتهما ، فعادا - بنعمة الله - إخواناً. وفي هذا اليوم يقول قيس بن الخطيم:

ويومَ بُعاثٍ أسلمتنا سيوفُنا

إلى حسبٍ من جِذْمِ غسانَ ثاقبِ[99]

ويوم عين أباغ، بين الحارث الأعرج ملك غسان وبين المنذر بن ماء السماء ملك المناذرة. وقد دارت الدائرة على المنذر، إذ قُتل وهزِم جيشُه، وفي ذلك يقول ابن الرعلاء الضبابي:

كـمْ تـركـنـا بـالـعـينِ عـينِ أُبـاغٍ

مِنْ ملوكٍ وسُـوقـةٍ أكـفـاءِ[100]

وأما يوم حليمة، فهو بين الغساسنة والمناذرة أيضاً. فقد أراد ملك الحيرة المنذر بن المنذر بن ماء السماء أن يدرك بثأر أبيه، فجهز جيشاً وتوجه قبل ملك الشام الحارث الغساني، واجتمع الجيشان في مرج حليمة وفي أكثر من جولة، كان النصر فيها حليف الملك الغساني، وقد أشار النابغة الذبياني في مدحه للغساسنة إلى هذا اليوم، فقال عنه:

ولا عـيبَ فـيـهمْ غـيـرَ أنَّ سـيـوفـهم

بـهنَّ فلولٌ مـنْ قـراعِ الكتـائبِ

تُـوُرِّثْنَ مـنْ أزمـانِ يومْ حليـمـةٍ

إلى اليـوم قـد جُـرِّبْنَ كُلَّ التـجـاربِ[101]

ب – السياسة الخارجية: كان لهذه السياسة مجالان: عربي وأعجمي. أمّا العربي، فهو علاقات: الجاهليين بالممالك العربية، سواء أكانت داخلَ الجزيرة أم خارجها. وأما الأعجمي، فهو علاقاتهم مع أكبر دولتين في ذلك الزمان: الفرس والروم.

تُحدثنا الأخبار أن العرب داخل الجزيرة، لم يكونوا متقوقعين على أنفسهم، بل كانت لهم علاقات وثيقة بالعالم الخارجي. وكانت هذه العلاقات ذات وجهين: سلمي وحربي. أما السلم فيتمثل بوفاداتهم على حواضر تلك الأمم، بقصد التكسب، أو التجارة، أو الاستشفاع. وأمّا الحربي فيتبدى بتلك الغارات التي كانت تُشنُّ منهم وعليهم في آنٍ واحد.

لقد كانت مكة المكرمة قَصَبَةَ المجتمع العربي داخل الجزيرة العربية. وكانت حياة أهلها مستقرة مترفة. ولمثل هذه الحياة وجّه حرب بن أمية الدعوة إلى صديقه أبي مطر الحضرمي يغريه بالعيش فيها، حيث الأمن والرغد والدعة، فقال:

أبَا مـطـرٍ هـلـمَّ إلـى صـلاحِ
فـتكفـيكَ الندامَى منْ قـريشِ
وتـأمـنَ وسطـهـمْ وتـعـيشَ فـيـهـمْ
أبا مطرٍ هديتَ لخـيـرِ عـيشِ
وتـسـكـنَ بـلـدةً عَـزَّتْ قـديماً
وتـأمـنَ أن يـزورك ربُّ جـيـشِ[102]

ويشير حرب في البيت الأخير إلى انّ مكة محمية، لا يستطع أن ينال منها الغزاة. وقد كان لأهلها صلات تجارية قوية بالبلاد المجاورة، ولا سيما الشام واليمن. وهو ما امتن الله به عليهم، وذلك في سورة (الإيلاف). وهو أحلافٌ تجارية كان يعقدها زعماؤها مع رؤساء القبائل التي تمر بها قوافلهم، بقصد حمايتها مقابل جُعالةٍ يتعهدون بدفعها إليهم. وأول من ألف الإيلاف هاشم بن عبد مناف. وهو ما قرّره عبد الله بن الزبعرى بقوله:

عـمـرو الذي هشمَ الثـريدَ لقـومـهِ
ورجـالُ مكةَ مـسنتـونَ عـجـافُ
سُنَّتْ إليـه الرحلتـانِ كـلاهُمـا
سـفـر الشـتـاءِ ورحلةُ الأصـيـافِ[103]

وكانت قوافل قريش ترتاد أسواق العراق كذلك. فحرب بن أمية الذي أشرت إليه قبل قليل، كان من أكبر تجار قريش إلى الحيرة،ويقال: إنه تعلم من هناك الكتابة والقراءة، وكذلك النضر بن الحارث الذي كان يذهب إليها يشتري منها الأسفار التي فيها قصص رستم واسفنديار، ليعارض بها القرآن الكريم[104].

ومما يدل على توطد العلاقات التجارية بين الجزيرة والشام والعراق، ذكرهم للدراهم والدنانير التي كانت تُسَكُّ هناك. فقد ذكروا دنانيرأيلة، لأنها كانت في حيز الروم وكانت تأتيها الدنانير من الشام[105]، قال أُحَيْحَةُ بن الجُلاحِ من مرثيّة له في ابنه:

ومـــــا هِبْـــــرِزِيٌّ من دنـانيـــــرِ أيلـةٍ

بأيدي الوشـــاةِ مـــشـــرقـــاً يتـــأكّلُ

بأحــــسنَ منهُ يومَ أصــــبحَ غـــادياً

ونفـــسني منهُ الحِـــمــامُ المُعَـــجَّلُ[106]

وأيلة، هي مدينة العقبة حالياً. والوشاة هم النقاشون الذي يشونه[107]، وتذكر الأخبار أن الذي كان يتولى أمر تجارة قريش إلى اليمن، هو المطلب بن عبد مناف[108]، كما أن القوافل من العالم المجاور كانــت تتجه من وإلى جزيرة العرب. فَلطيمةُ كسرى الصادرة من بلاد اليمن ولطيـــمة النعمان الواردة من الحيرة إلى سوق عكاظ، لطيمتان مشهور أمرهمـــا في التاريخ العربي. وبســـبب الاعتداء على الأولى من بني تميم وقع يوم الصفقة[109] وبسبب الاعتداء على الثانية، وقع يوم الفجار الثاني[110].

ووفادات العرب على ملوك المناذرة والغساسنة والتبايعة، مسطورة في كتب الأدب العربي. جاء في (التنبيه) للبكري، أن "أبا قيس بن أبي رفاعة واسمه دثار، كان يفد سنةً إلى النعمان بن المنذر اللخمي، وسنةً إلى الحارث بن أبي شمر الغساني"[111]. وكان النابغة الذبياني يفد إلى بلاط الغساسنة والمناذرة، مادحاً ومعتذراً ومتشفعاً، فمن شعره الاعتذاري في النعمان بن المنذر، قوله:

فـــــتلكَ تُبلغني النعـــــمـــــانَ إنَّ لهُ

فضلاً على الناسِ في الأدنى وفي البَعَدِ[112]

وكان حسان بن ثابت منقطعاً إلى آل جفنة، ملوك غسان. وله فيهم أشعارٌ كثيرة، إذ كان ينتجعهم رجاءَ النوال. ومن شعره فيهم قوله:

لله درُّ عـــــصـــــابةٍ نادمـــــتُـــــهـمْ

يـومـــــاً بِجِلِّقَ في الزمـــــانِ الأوّلِ

أولادُ جَفْنَةَ حولَ قبرِ أبيهِمُ

قبرِ ابن ماريةَ الكريم المُفْضِلِ(113)

ولقد كانت العلاقات بين عرب الجزيرة وملوك الدولتين في الشام والعراق، علاقات ساخنة في أكثر الأحيان، وذلك بسبب الاعتداءات المتكررة من هذه القبائل على أطراف هاتين الدولتين، أو بسبب اشتراك بعض هذه القبائل مع جيش إحدى الدولتين ضد الأخرى، وأن من نتائج ذلك أن تنتصر إحدى الدولتين فتأسر من الأخرى ومن أعوانها أسرى، فيذهب بعض شعراء الجزيرة يتشفعون لدى الملوك لأسراهم. ومن ذلك تشفع حاتم الطائي لدى عمرو بن هند ملك الحيرة الذي أسر من طيء سبعين رجلاً فيهم قيس بن جحدر، ابن خالة حاتم فوفد إليه حاتم وقال:

فككتَ عدياً كلها منْ إسارِها

فأنعمْ وشفعني بقيس بن جَحْدَرِ

أبوهُ أبي والأمهاتُ أُمهاتُنا

فأَنْعِمْ فدتكَ اليومَ نفسي ومعشري

فذهب إليه، وقال: هو لك يا حاتم(114). وكذلك تشفع علقَمة الفحل التميمي لدى الحارث ابن أبي شمر الغساني، لإطلاق سراح أخيه شاس الذي أسر يوم حليمة. فوفد عليه علقمة ومدحه بقوله:

فلا تحرمنّي نائلاً عنْ جنايةٍ

فإنّي امروٌ وسطَ القبابِ غريبُ

وفي كلِّ حيٍّ قد خبطتَ بنعمةٍ

فحُقَّ لشاسٍ من نداكَ ذَنُوبُ

فقال الحارث: نعم، وأذنبة. وأطلق له شاساً وأسرى من تميم، ومن سأل فيه الشاعر أو عرفه من غيرهم(115).

وكان للعرب اتصال بملوك اليمن، يدل على ذلك الوفادات العديدة التي كان يقوم بها لهم شعراء الشمال، ولا سيما الأعشى. جاء في (النوادر) للقالي، أن أمية بن أبي الصلت قال: "أتيت نجران فدخلت على عبد المدان بن الديان، فإذا به على سريره، وكأن وجهة قمر، وبنوه حوله كأنهم الكواكب، فدعا بالطعام، فأتيَ بالفالوذج، فأكلت طعاماً عجيباً، ثم انصرفت وأنا أقول:

ولقــــدْ رأيتُ القـــائلينَ وفـــعلهُمْ

فـــرأيتُ أكْـــرَمَـــهُمْ بنـي الديّانِ

البُـــرُّ يلبكُ بالشِّـــهـــادِ طعـــامُـــهُ

لا مـــا يعللنا بنو جُـــدعـــانِ

فبلغ ذلك عبدَ الله بن جدعان، فوجَّهَ إلى اليمن من جاءه بمن يعمل الفالوذج بالعسل، فكان أوّل من أدخله مكة"[116].

أما علاقات العرب بالفرس والروم فكانت متصلة وإن كانت مع الفرس أوضحَ منها مع الروم. ولقد ورد في (الأمالي)، أن قُسّ بن ساعدة الإيادي، أُسْقُفُّ نجران وحكيم العرب المشهور، كان"يفد على قيصر ويزوره"[117]، ويقال: إن الحارث بن أبي شمر الغساني، هو الذي أوصل امرأ القيس بن حجر إلى قيصر الروم ليعينه على الأخذ بثأر والده. وفي شعر الشاعر ما يقرر هذه الرحلة إلى امبراطور الروم، وذلك في قوله:

فَلَمــا بدتْ حـــورانُ والآلُ دونهـــا

نظرتَ فلمْ تنظر بِعـــيْنِكَ منظراً

ولو شاءَ كـانَ الغـزوُ منْ أرضِ حِـمْـيَـرٍ

ولكنهُ عـــمـــداً إلى الروم انفـــرا

بكى صـاحـــبي لَمّـــا رَأى الدّربَ دُونَهُ

وأيقَنَ أنّا لاحِـــقـــانِ بِقَـــيْـــصَـــرا

فـــقُلْتُ لهُ: لا تَبْكِ عَـــيْنُكَ إنَّمـــا

نُحـــاوِلُ مُلْكاً أو نَمُـــوتَ فَنُعـــذَرا[118]

ومثل هذه الرحلة التي تدل على اتصال العرب بالقوى الدولية الكبرى في تلك الأزمان، رحلة سيف بن ذي يزن إلى الفرس، يستعين بهم على طرد الأحباش من بلاده، وقد لَبَّوْا طلبه في حين أن الروم خذلوه في هذا الميدان، فقال فيه ابو الصلت الثقفي:

لَيطلبِ الثـــأرَ أمـــثـــالُ ابْنِ ذي يَزَنٍ

لجّجَ في البَـــحـــرِ للأعـــداءِ أحْـــوالا

أتَى هِرقْلَ وقَـــدْ شـــالت نعـــامـــتُـــهُ

فَلَمْ يَجِـــدْ عندَه القـــولَ الذي قـــالا

ثُمَّ انتـحى نحـو كـسـرى بعـدَ سـابِعَـةٍ

مِنَ السنينَ لقـــدْ أبعـــدْتَ قلقـــالا

حـملتَ أُسْـداً على سُـودِ الكلابِ فـقـدْ

أضـحى شـريدهمُ في البـحـرِ فُـلاَلا[119]

وبعد أن تولى المناذرةُ ملك العراق، جرت الأمور بينهم وبين الفرس طبيعيةً أحياناً، سيئة أحياناً أخرى، إلى أن وقع بينهما الفصام بمقتل النعمان بن المنذر الذي داسته الفيلة بسجن كسرى إلى أن مات. وفي هذا يقول هانئ بن مسعود:

إنَّ كِـــســـرى عَـــدا على الملكِ النُّعـــمـ

ـانِ حـــتَّـى ســـقـــاهُ أمَّ الرقّـــوبِ[120]

وكان مما انتهت إليه الأحداث في الحيرة، أن تدهورت العلاقات بين العرب والفرس تدهوراً كبيراً، انتهى بحدوث معركة عظيمة بينهما هي معركة ذي قار، انتصر العرب فيها انتصاراً بدأت بعده كفة الفرس تشيل. وقد افتخر العرب بذلك. ومن هذا القبيل قول العَدِيل بن الفرج العِجْليّ:

مـــا أوقَـــد النـاسُ مِنْ نارٍ لِمكرمـــةٍ
إلاّ اصطلينا وكُنّا مُـــوقِـــدي النَّارِ
ومـــا يَعُـــدُّون منْ يومٍ سَـــمِـــعْتَ بهِ
للنّاسِ أفـــضلَ من يومٍ بذي قـــارِ
جـــئنا بأســـلابهم والخـــيْلُ عـــابسَـــةٌ
لَمّا اســـتلبنا لِكســـرى كُلَّ إســـوارِ[121]

ولعَلَّ هذا الانتصار كان من بشائر الإسلام العظيم الذي كان نجمه قد بدأ يلمع في تلك الآناء.

وبعد هذه الجولة في توضيح واقع السياسة العربية، ولا سيما في جانبها الخارجي، يبدو لنا كلام الدكتور طه حسين، من أن العرب لم يكونوا – كما يصورهم هذا الشعر – معتزلين ، إذ القرآن يصف عنايتهم بسياسة الفرس والروم، ويصف اتصالهم الاقتصادي بغيرهم من الأمم المجاورة[122]، كلاماً مردوداً عليه، إذ إن هذا الشعر كما رأيناه لم يصورهم معتزلين، بل متصلين بغيرهم، وعلى أعلى المستويات وفي كل الاتجاهات.

5 – الحياة الفكرية:

نعني بالفكر هنا الأسلوب او الأساليب التي كان الجاهليون ينظرون فيها إلى الأشياء من حولهم، والكيفية التي كانوا يفسرون بها هذه الأشياء ونوعية الصلة والصلات التي تربطهم بها. ولذا فسيتضمن حديثي هنا: ديانة العرب، وعاداتهم، ومعتقداتهم.

1 – ديانة الجاهليين: لم يكن العرب مُوَحَّدي الديانة في الجاهلية، بل كانوا ذوي ديانات شتى، بعضها السماوي، وبعضها الأرضي. يدل على ذلك قول ابن قتيبة: "كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة، وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة، وكانت المجوسية في تميم، وكانت الزندقة في قريش "[123].

أ – الوثنيـة: مـا من شكٍ أنه على الرغم من وجـود الديانتين السـماويتن: اليـهـودية والنصرانية في جزيرة العرب، فإن الديانة الوثنية، كانت الديانة السائدة. وتتمثل الوثنية بصور عديدة على رأسها عبادةُ الأصنام وتقديسُها. وتحدثنا السيرة النبوية أن أول من غير دين أبيه إسماعيل، عمرو بن لُحَيٍّ الذي جلب الأصنام من بلاد الشام في إحدى سفراته إليها[124].

وأشهر الأصنام العربية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم هي: ودّ، وسُواع، ويَغُوث، ويَعُوقُ، ونَسْرٌ[125]، ومن الشعر الذي ورد في هذه الأصنام، قول الشاعر في سُواع:

تَراهُمْ حَـولَ قَـيْلِهِمُ عُكُوفـاً
كَـمـا عَكَفَت هُذَيْلُ على سُـواعِ[126]

وفي نسر يقول عمرو بن عبد الجن:

أمَـا ودمـاءٍ مـائِراتٍ تَخَـالُهـا
على قُلَّةِ العُـزَّى أو النَّسـرِ عَندَمـا

لَقَـد ذاقَ مِنّا عـامـرُ يومَ لَعْلَعٍ
حُـساماً إذا مـا هُزَّ بِالكفِّ صَمَّمـا[127]

وكذلك اللات والعزى ومناة. قال شداد بن عارض الجشمي في مسير رسول الله، صلى الله عليه وسلم ،إلى الطائف:

لا تَنْصُـرُوا الّلاتَ إنْ اللهَ مُـهلِكُهـا
وَكَـيْفَ يُنصَـرُ مَنْ هُوْ لَيْسَ يَنْتَـصِـرُ[128]

أما العزى، فقد هدمها خالد بن الوليد رضي الله عنه، عام الفتح، فكان يُعمِل فيها فأسه، ويقول:

يا عُـزَّ كُـفـرانكِ لا سُـبـحـانَكِ
إنـي رأيـتُ الـلـهَ قـدْ أهـانـكِ[129]

وأما مناة، فقال فيها حسان بن ثابت، رضي الله عنه، يُعَظِّمُها وَيَعُدُّها ربَّه في الجاهلية:

وَمَناةُ رَبِّي خَصَّهُم بِكَرامَةٍ
حُجّابُ بَيتِ اللهِ ذي الأستارِ (130)

ومن أصنامهم الشهيرة كذلك، هبل. وقد كان رئيس أصنام الكعبة التي بلغت ثلاثمئة وستين، وكان من عقيق منصوباً بجوف الكعبة، مكسور اليد اليمنى.

وكان العرب يقدسون الأصنام بأن يقسموا بها، ويستقسموا عندها، ويطوفوا حولها ويذبحوا لها العتائر (الذبائح) في شهر رجب الذي كانت العرب تعظمه في الجاهلية. وفي ذلك يقول النابغة الجعدي:

قالتْ أُمامةُ كَمْ عَمَرتَ زَمانَةً
وذَبَحتَ مِنْ عِتْرٍ على الأوثانِ(131)

وإذا كانت الأصنام تصنع من حجرٍ أو خشب، فإن بعض العرب كان يصنعها من تمر، فإذا جاع أكلها كما فعلت حنيفة. قال رجلٌ من تميم يعيّرهم بذلك:

أكَلَتْ حَنِيفَةُ رَبَّها
زَمَنَ التَقَحُّمِ والمجاعَةْ
لم يَحْذَروا مِنْ رَبهم
سُوْءَ العواقب والتَّباعَةْ(132)

وكان بعضهم يعبد الشِّعْري. وبعضهم مجوسياً يعبد النار كالفرس، وبعضهم يعبد الجن والملائكة، وبعضهم يعبد الحيوان(133). وكانت كثرتهم لا يؤمنون ببعثٍ ولا نشور. ويقول العلماء: إن سادات قريش كانوا كذلك . قال شاعرهم:

أيوعِدُنا ابنُ كَبْشَةَ أنْ سَنَحيْا
وكيف حياةُ أصداءٍ وهامِ

أتُتْرَكُ أنْ تَرُدَّ المَوْتَ عَنّي

وتُحيِيني إذا بَليتْ عِظَامِي[134]

ب - اليهودية والنصرانية: أما هاتان الديانتان فقد انتشرتا في بقاعٍ معينة من جزيرة العرب. فالنصرانية في اليمن، وفي نجران بالذات. وقد اعتنقها المناذرة والغساسنة في عهد متأخر، لعله أواسط القرن الخامس الميلادي، ويدل على ذلك قول عَدِيّ بن زيد العِباديّ، شاعر الحيرة:

سَعَى الأعداءُ لا يَألون شَرّاً

عليَّ ورَبِّ مكَّةَ والصَّليبِ[135]

وقول النابغة الذبياني في مدح الغساسنة:

مَجَلَّتُهم ذَاتُ الإلهِ ودِينُهُمْ

قَويمٌ فَما يَرْجُونَ غَيرَ العَواقِبِ[136]

وكانت اليهودية منتشرة في اليمن ويثرب وخيبر وبعض قرى وادي القرى، ولكنها - على كل حال - كانت أقل انتشاراً في ديار العرب من النصرانية. ومن أشهر شعراء اليهود الذين عرفوا في المدينة وما حولها: كعب بن الأشرف، والربيع بن أبي الحُقَيق، والسموأل بن عادياء الغساني[137]، ولقد دلّ حسان رضي الله عنه، على وجود اليهود في يثرب، بقوله يهجو أحد المنافقين من قومه الذين كانوا يوالون اليهود، وهو أبو الضحاك بن خليفة الأشهلي، وكان من موالي بني قريظة:

أبلغ أبا الضحَّاكِ أنَّ عُرُوقَهُ

أعْيَتْ على الإسلامِ أنْ تتمَجَّدا

أتُحِبُّ يُهدانَ الحِجازِ ودينَهُمْ

كَبِدَ الحِمارِ ولا تُحِبُّ مُحَمَّدا

وإذا نَشَـــــا لكَ نـاشِـئٌ ذو غـــــرةٍ

فَـــةُّ الفُـــؤادِ أمـــرتَهُ فَـــتَـــهَـــوَّدا[138]

ومن أشهر شعرا الجاهلية الذين تأثروا بديانة أهل الكتاب، ولا سيما النصرانية، عدي ابن زيد العبادي، وأمية بن أبي الصلت الثقفي. وعلى كلٍ، فقد كان العرب في الجاهلية – بشكلٍ عام – ينظرون إلى هاتين الديانتين بقليل من الارتياح، ولا يرون فيهما مثلهم الأعلى في الحياة.

ج-الحنيفية: الحنيفيّة، نسبة إلى حنيف. وهي صفة لإبراهيم الخليل عليه السلام، قال تعالى: (..مِلَّةَ إبراهيمَ حَنيفاً وما كانَ مِنَ المُشرِكينَ)[139]. وهي تعني المائل عن طريق الشرك والانحراف، والسالك للطريق الجادة. وملة إبراهيم هي ملة التوحيد. وهي الدين المقبول عند الله، قال أمية بن أبي الصلت:

كُلُّ دينٍ يَومَ القِـــيـــامَـــةِ عِنْدَ الــ

ــلـهِ إلا دينَ الحَنـيـــــفَـــــةِ بُورُ[140]

وقد كان العرب أولاً عليها، ولكنهم بعد أن تطاول عليهم العهد حَرَّفوها. وهو ما أكده الرسول صلى الله عليه وسلم ، من أن عمرو بن لُحَيّ أول من غير دين أبيه إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام[141]. وهو ما يدحض قول الدكتور إبراهيم عبد الرحمن من "أن عبادة الشرك كانت أسبق في تاريخ الديانة الجاهلية"[142].

وعلى الرغم من تشوّه ديانة التوحيد في نفوس العرب قبل الإسلام، فقد بقيت منها فيهم بقايا تمثلت في الإيمان بالله الخالق الرازق المحيي المميت الغالب على أمره، وفي الحج وتعظيم الكعبة، وفي الإيمان باليوم الآخر، وفي هجر الرذائل والموبقات، ولقد كثر دوران اسم الجلالة على ألسنة الشعراء الجاهليين، قال ذو الإصبع العدواني، يعاتب ابن عمه:

إنَّ الذي يَقْبِضُ الدُّنْيا ويَبْسُطُها
إنْ كانَ أغناكَ عَنِّي سَوفَ يُغْنيني
الله يعلمني والله يعلمكُمْ
واللهُ يَجْزيكُمُ عَنِّي ويَجْزيني[143]

وفي الحج وتعظيم الكعبة، يقول النابغة الذبياني، في معرض اعتذاره للنعمان بن المنذر:

حَلَفتُ فَلَمْ أترِكْ لِنَفسِكَ ريبَةً
وهَل يَأثَمنْ ذُو إمَّةٍ وهْوَ طائعُ
بِمُصطحَباتٍ مِنْ لَصَافٍ وثَبرَةٍ
يَزُرنَ إلالاً سَيرُهُنَّ التَّدافُعُ[144]

ومن شواهد إيمانهم بالبعث قول الأخنس بن شهاب التميمي (جاهلي):

ولَقَد شَهِدْتُ الخَصْمَ يَومَ دِفَاعِهِ
فَأخَذْتُ مِنْهُ خُطَّةَ المُقتالِ
وعَلِمتُ أنَّ اللهَ جَازٍ عَبْدَهُ
يَوْمَ الحِسَابِ بِأحسنِ الأعمَالِ[145]

ولا شك أن اشهر متحنف ظهر قبل الإسلام، هو زيد بن عمرو بن نُفَيْل العدوي القرشي الذي كان قد اطلع على اليهودية والنصرانية، فلم يرضهما[146]، فوقف فلم يدخل أيّاً منهما، وفارق دين قومه، فاعتزل الأوثان، والميتة، والدم ، والذّبائح التي تذبح على الأوثان، ونهى عن قتل الموؤدة، وقال: أعبد رب إبراهيم، وبادى قومه بعيب ما هم عليه، ومن شعره في تحنفه، قوله:

أربَّاً وَاحِداً أم ألْفَ رَبٍّ
أدينُ إذْا تَقَسَّمَتِ الأمورُ

عَــزَلْتُ اللاتَ والعُــزَّى جَــمِــيْــعَــاً

كَــذَلكَ يَفْــعَلُ الجَلْدُ الصــبُــورُ

فَــلا العُــزَّى أدينُ ولا ابنتــيــهــا

ولا صَنَمَيْ بَنِي عَــمْــروٍ أزُورُ

ولا هُبَــلاً أدينُ وكَــانَ رَبّاً

لَنَا في الدَّهرِ إذ حِلمِي يســيــرُ[147]

ولهذا كان قومه يؤذونه، ويوكلون به من يؤذيه. ولا يعني ما قدمت عن الحنيفية، أنها كانت ظاهرة بارزة في حياة العرب الدينية، فقد بقيت محصورة في أفراد قلائل متناثرين لا يشكلون جماعة لها تأثير ملموس في واقع الحياة، كما أن بعضهم لم يكن ملتزماً بمبادئ هذه الديانة بصورة دقيقة. وبشكل عام، فإن ما بقي منها في جزيرة العرب اختلط بعقائد أخرى مبتدعة.

وبعد هذه الجولة مع صفحات من حياة العرب الدينية، يبدو كلام الدكتور طه حسين من أن "هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين، يُظهر لنا حياة غامضة جافة، بريئة أو كالبريئة من الشعور الديني القوي أو العاطفة الدينية المتسلطة على النفس والمسيطرة على الحياة العملية[148]، كلاماً فيه الكثير من مجافاة الحقيقة. وهو رأي يقتفى فيه آثار المستشرقين من قبله. فهذا المستشرق جورجيو دالافيدا، يقول عن الشعر الجاهلي: "لقد أبرز لنا الجانب البطولي في الحياة، وأغفل المظاهر الأخرى التي لا تقل عنه قيمة. ومن هذه المظاهر التي أغفلت، الدين"[149].

2 - عاداتهم ومعتقداتهم: إن عادات أي شعب ومعتقداته تنبع من واقعه الاجتماعي، ومستواه الفكري. ولما كان العرب وثنيين بشكل عام، فإن هذه العادات والمعتقدات ذات صلة وثيقة بمنحاهم الديني، إذ تنطبع معقتداتهم خاصة بطابع الأسطورة والخرافة، مع أن أسطوريتهم لم تبلغ في تعقيدها أسطورية اليونان. وسأبدأ الحديث عن معتقداتهم،

لأنها أقرب رُحماً بديانتهم.

أ - المعتقدات: يبدو من الإطلاع على قطاع منها أن الباعث عليها هو خوفهم من المجهول، ولذلك دار معظمها حول الجن والموت، وما يأتي به الغيب. ولا ريب أن بعضها وليد التفكير العربي نفسه، وبعضها مجتلب وموروث عن ديانات أخرى كاليهودية والنصرانية والمجوسية.

لقد كان الجن يشغل حيزاً كبيراً من تصوراتهم الاعتقادية. فهي مخلوقات ذات قدرة عجيبة. وكانوا ينسبون كل شيء خارق للعادة إليها. وكانوا يعتقدون أن لكل شاعر صاحباً من الجن، هو الذي يوحي له بشعره، كما جاء على لسان حسَّان بن ثابت في قوله:

وَلِي صاحبٌ مِنْ بَنِي الشَّيصبانِ
فطوراً أَقُولُ وطوراً هُوَهْ[150]

وكانوا يزعمون أن الرجل إذا دخل قرية فخاف من جنها أو وبائها، علّق عليه كعب أرنب فلا تصيبه عينٌ ولا نفس، لأن الجن تهرب منها. وإلى هذا أشار امرؤ القيس:

أيا هِنْدُ لا تَنْكِحِي بُوهَةً
عَلَيْهِ عَقِيقَتُهُ أحْسَبا

مُرَسَّعَةً بَيْنَ أرْسَاغِهِ
بِهِ عَسَمٌ يَبْتَغِي أرنَبَا

لِيَجْعَلَ في يَدِهِ كَعْبَها
حِذارَ المَنِيَّةِ أنْ يَعْطَبا[151]

ومن أساطيرهم التي تتعلق بعلاج الأمراض أن النملة، وهي قَرْحَة تخرج في الجنب، كانت تزعم المجوس أن ولد الرجل إذا كان من أخته، ثم خط عليها شفي صاحبها. وإلى هذا أشار شاعرهم بقوله:

وَلا عَـــيْبَ فـــينا غَـــيْـــرَ عِـــرقٍ لِمَـــعْـــشَـــرٍ
كِـــــــرامٍ وأنّـا لانَـخُـطُّ عَـلـى الـنَّـمـلِ[152]

أي لسنا مجوساً ننكح الأخوات.

ومن مزاعمهم أنه إذا قُتِل القتيل فلم يُثأر به، يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة، لا يزال يصيحُ على قبره: اسقوني، اسقوني حتى يُقْتَلَ قاتله. ومنه قول ذي الإصبع العَدْوانيّ:

يا عَـمْـرُو إنْ لا تَدَع شَـتـمي ومَنقـصـتي
أضـرِبْكَ حـتّى تَقُـولَ الهـامَـةُ اسـقُـونِي[153]

ومنها أن الميت إذا لم تربط ناقته على قبره ليركبها إلى المحشر بعد البعث، فإنه سيحشر راجلاً، وهو وضعٌ شائن يدل على عقوق الأبناء لآبائهم والعشيرة لأبنائها. ولذا كانوا إذا مات أحدهم، عمدوا إلى ناقته فربطوها معكوسة على قبره وبقيت هكذا لا تَطعَم شيئاً ولا تُسقى حتى تموت. فإذا خرج الميت من قبره ركبها. وكانوا يسمون هذه الناقة، البَلِيّة. قال الحارث بن حِلِّزَة اليَشْكُرِيّ:

أتَـلَهَّـى بِـهـــا الـهَـــواجِـــرَ إذْ كُـلْـ
ـلُ ابنِ أُنْثَـى بَلـيَّـــةٌ عَـــمْـــيـــاءُ[154]

ووصفت بأنها عمياء، لأن رأسها يُربط إلى ذنبها[155]، تماماً كصاحب الهمْ الذي يحار دليله، وهذا من خرافاتهم التي كانت تشوه اعتقاد بعضهم بالبعث.

ومن أساطيرهم تشاؤمهم بما مر عن مياسرهم من الطير، إذ يزجرونه ليعرفوا فألهم، فإن طارت عن الميامن استبشروا، وهي السوانح. وإن طارت عن المياسر تشاءموا بها، وهي البوارح[156]، قال النابغة الذبياني في هذا المعنى:

زَعَـمَ الـبـــــوارِحُ أنَّ رِحلَـتَـنـا غَـــــداً
وبـذاكَ تَـنْـــعـــابُ الـغُـــرابِ الأســـودِ

لا مَـــرْحَـــبـــاً بِغَـــدٍ ولا أهـلاً بِهِ

إنْ كـانَ تَفْـرِيقُ الأحـبَّـةِ في غَـدِ(157)

ومما تأثروا به من الأساطير في الأمم الأخرى، ولا سيما أهل الكتاب، ما ذكره ابن قتيبة من "أن أمية بن أبي الصلت كان يأتي بأحاديث من أهل الكتاب لا تعرفها العرب. ومنها قوله:

بـآيَـةِ قـــامَ يـنـطِـقُ كُـلُّ شَـيءٍ

وخـــانَ أمـــانَـةَ الديكِ الغُـــرابُ

وفسر ذلك بأنهم كانوا يقولون: إن الديك كان نديماً للغراب، فرهنه على الخمر، وغدر به، ولم يرجع وتركه عند الخمّار ، وجعله الخمارُ حارساً(158).

ب – العادات: ليست العادات بعيدة الصلة عن المعتقدات، بل هي منها بسبيل قوي. ولقد تحدثت عن بعضها فيما سلف، وسأشير إلى بعضها هنا ليتم للبحث تمامُه، فتتجلى للعرب صورة واضحة أو قريبة من خلال أشعارهم. إن بعض هذه العادات ذات صبغة دينية أسطورية، وبعضها عادات اجتماعية خيِّرة، وبعضها عادات إنسانية طبيعية. فمن هذه العادات الأسطورية، عقد الرتائم، جمع رتيمة. والرتيمة ما يعقد في اليد للتذكرة. وكان من عادتهم إذا أراد الواحد منهم سفراً أن يعمد إلى شجرة فيربط غصنين منها معاً، فإذا رجع وقد وجدهما على حالهما، قال: لم تخنه امرأته، وإذا لم يجدهما كذلك، قال: قد نكثت. قال شاعرهم:

إذا لَمْ تَكُنْ حـاجـاتُنا في نُفُـوسِنا

لإخْـــوانِـنا لَمْ تُغنِ عَنَّا الرَّتائمُ(159)

ومنها عاداتهم في الاستمطار، إذ كانوا إذا أَكْدَتِ السماء، فأجدبوا استمطروا بربط السلع والعشر – وهما ضربان من الشجر – بأذناب البقر وأضرموا فيها النار، وصعدوا بها الجبال، قال أمية بن أبي الصلت:

سَلَعٌ مّــــا ومِــــثْلُه عُـــشَــــرٌ مّـــا

عــــائِلٌ مّـــا وعـــالَتِ البـــيــــقُــورا[160]

ومنها تصرفهم في بعض الأنعام، إذ جعلوا بعضها بَحِيرةً، وبعضها سائبَةً، وبعضها وصَيلَةً. فأما البحيرة فهي بنت السائبة. والسائبة هي الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر، سُيِّبَتَ فلم يُركب ظهرُها، ولم يُجَزَّ وبرها، ولم يُشرَب لَبَنَهَا إلاّ ضَيَفٌ كما فعل بِأُمِّها. فهي البحيرة بنت السائبة. والوصيلة: الشاة إذا أتأمت عشرَ إناث متتابعات في خمسة أبطن، ليس بينهن ذكر، جعلت وصيلة. قالوا: قد وَصَلَتْ، فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم[161] قال الشاعر:

حَـــولَ الوَصـــائِلِ منْ شُـــرَيْفٍ حِــقَّـــةٌ

والحـــامِـــيـــاتُ ظُهُـــورُها والسُّـــيَّبُ[162]

والحامي: الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات، ليس بينهن ذكر، حُمِيَ ظهرهُ فلم يُركب ولم يُجَزَّ وبره، وخُلِّيَ في إبله يضرب فيها، ولا يُنْتَفَع منه بغير ذلك " قال تَميم بن أبيّ بن مُقبِل، أحد بني عامر بن صعصعة:

فـــيــــهِ منَ الأخـــرجِ المِرْباعِ قَـــرقَـــرةٌ

هَدْرَ الَّيـا فِيٍّ وسْطَ الـهَـجْـمَـةِ البُـحُـرِ[163]

وكانت نساؤهم عند الوفاة، تلبس المُحِدُّ منهن السلابَ. وهو خرقة سوداء. قال ضَمَرةُ ابن ضمرةَ النهشليُّ ، مستنكراً على امرأته لومها له على هبته بعضَ إبله لابن عمه:

هل تَخْـــمِـــشَنْ إبِلِي عَلَيَّ وُجُـــوهَـهَـــا

أو تَعْـــصِـــبَنَّ رؤُوسَـــهـــا بِسِـــلابِ؟![164]

وكذلك كانوا يستقبلون العدو إذا أرادوا الصلح بأَزِجَّة الرماح، فإن أجابوهم إليه، وإلا قلبوا عليهم الأسنَّة وقاتلوهم. قال زهير بن أبي سلمى:

وَمَنْ يَعْصِ أطْرافَ الزِّجَاجِ فَإنَّهُ
يُطيعُ العَوالي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ[165]

خاتمة

وبعدُ، فقد رأينا الحياة الجاهلية بجوانبها المختلفة مصورة تصويراً واضحاً في هذا الشعر الذي أنتجه عصرُ ما قبل الإسلام، بغثها وسمينها، وخيرها وشرها. ولم يكن أصحابها جميعاً جُهَّالاً، غلاظاً ، أغبياءَ، جُفاةً، كما يصورهم الشعر الجاهلي الذي بين أيدينا بزعم طه حسين. كما لم يكونوا كلهم أصحاب علم وذكاء وعواطف رقيقة وعيش لين، كما يريدهم الدكتور طه أن يكونوا[166]، بل كانوا يجمعون بين البداوة والحضارة، وكان بعضهم جاهلاً جافياً، وبعضهم متنوراً حسب معطيات بيئته وعصره. فالحياة الجاهلية لم تكن نمطاً واحداً، وإنما كانت تختلف باختلاف المواطن المختلفة ... ومن هنا نستطيع أن نستدل على أن الشعر الجاهلي تناول جوانب كثيرة من حياة العرب تناولاً واقعياً، فيه استقصاء وشمول، وفيه دقة وعمق[167]، كما يشير إلى هذا الدكتور نوري القيسي. ولذا "فمن أراد أن يتصور الحياة الجاهلية، ويصورها للناس واضحة المعالم، بارزة السمات فليعمد إلى الشعر الجاهلي ليستنطقه ويستخبره[168]، كما يقول الدكتور أحمد الحوفي. وبالتالي فـ "إن الشعر الجاهلي ليس هزلاً من الهزل،... وليس لعبة مصنوعة مفتعلة صاغها جماعة من منتحلي الشعر ومزيفيه، استجابةً العواملِ وقتية، وإنما هو العمدة التاريخية العربية الأولى في تصوير حياة العرب بأيديهم في ذلك العصر تصويراً مباشراً"[169]، كما يقول – بحق – الدكتور نجيب البهبيتي.

وأما ادّعاء طه حسين أن القرآن يجب أن يكون مُعْتَمَدَنا الأول في تصوير الحياة الجاهلية، وليس الشعرَ الجاهلي الذي بين أيدينا، فمذهبٌ لا يُسَلَّمُ له به على طول الخط كما يقولون. ذلك لأن القرآن، مع اعتقادي بأنه صور جوانب من تلك الحياة تصويراً دقيقاً،

إلا أنه لم يصور كل جوانبها، وذلك لأن غرضه غير غرض الشعر. فالشعر فنٌ يقصد به إلى المتعة والإتحاف والتصوير، والقرآن كتاب دين وإصلاح، ولكُلٍّ دائرته. فما يدخل في دائرة هذا، قد لا يدخل في دائرة ذاك. فقد يركز القرآن على جوانب يهملها الشعر وبالعكس. مثال ذلك، اهتمام القرآن بالحديث عن الربا والزنا والموؤدة. وهي موضوعات أهملها الشعر أو كاد، وبالمقابل اهتمام الشعر بوصف حيوانات البادية وبالوقوف على الأطلال، ووصف الرحلة والصيد، وهي موضوعاتٌ ما كان للقرآن أن يتعرض لها، أو يفصل فيها وهو كتاب شريعة ومنهاج حياةٍ، لا كتاب فنٍ واستمتاع.

الهوامش:

(1) أنظر: حسين، طه، الأدب الجاهلي (مرآة الحياة الجاهلية)، دار المعارف، 1962 ص 70 وما بعدها.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) الجمعة الآية 2.

(4) آل عمران الآية 103 .

(5) الجبوري، يحيى، الجاهلية، مطبعة المعارف ببغداد، 1388هـ ، 1968م، ص27.

(6) هو عمرو بن كلثوم، انظر شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري ص 427.

(7) الألوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، عني بشرحه وتحقيقه، محمد بهجة الأثري، ط3 ج2، 1342هـ ص3. ويصَدُقُها، أي يُعَيِّنُ صداقَها، وهو مهرها.

(8) القالي، ابو علي، الأمالي، مطبعة السعادة بمصر 1353هـ، 1953م ص 157 .158.

(9) الضَبِّيّ، المفضل، المفضليات، القصيدة رقم (31) ص161، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، الرواية الثانية ص161، ط3، دار المعارف بمصر، 1964م. غَنينا: عِشْنا.

(10) المصدر السابق، القصيدة رقم (4) ص 34، أهل خروب: قومها الذين أفسدوها عليه، الملهوز: وصف للجمل وهو الموسوم في لحييه.

(11) المصدر السابق، القصيدة رقم (119) ص 392، وشرخ الشباب: أوله.

(12) ابن حبيب، محمد، المحبر، رواية أبي سعيد السكري، صححه إيلزة ليختن، منشورات المكتب التجاري، بيروت ص 309.

(13) البكري، أبو عبيد، التنبيه، ص 24، والحَنَّةُ: الزوجة، الجوامس: اليوائس، كبار السن، الشُمسُ : جمع شَمُوس، وهي النَّفور.

(14) الفيروز أبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، مادة (مقته).

(15) ابن حبيب، محمد، المحبر، المصدر السابق ص 326. والسِّلف من الرجل، هو زوج أخت امرأته. ومعنى البيت الثاني: أي هل يرجَمُ من نال من دهماء حراماً قبل الإسلام؟ وبلغة القانون: هل لأحكام الإسلام أثر رجعي على من أسلم؟

(16) المصدر السابق نفسه.

(17) ابن رشيق: العمدة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط2، 1374 هـ، 1955م، مطبعة السعادة بمصر، ج1 ص65

(18) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر وشرحه دار المعارف بمصر، ج1، ص 425. وأراد بالأدم النِّحْيَ، وهو الزِّق. يقول : كوني لولدي عرار كسمنٍ ربٍّ أديمة، أي طُلِيَ برب التمر، لأن النحي إذا أُصلح بالرُّبِّ طابت رائحته، ومنع السمن من أن يفسد طعمه أو ريحه، بِيني: فارقي مطلقةً، أَمَمَ: قصد.

(19) عنترة، ديوانه، تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي 1390هـ، 1970م، ص269 .270.

(20) ابن قتيبة، المصدر السابق، ص 425، وذلك في قول أبيه عنه من المقطوعة نفسها:

وإنَّ عِراراً إنْ يكُنْ غَيْرَ واضحٍ فَإنِّي أُحبُّ الجَوْنَ ذا المَنْكبَ العَمَمْ

(21) عطية، محمد هاشم، الأدب العربي وتاريخه، ص 360، يافعا: شاباً.

(22) أنظر تاريخ آداب العرب للرافعي ج1 ط4، دار الكتاب العربي، بيروت 1394 هـ، 1974م، ص144.

(23) أنظر الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، ط2، 1960مـ، ص186.

(24) التكوير، الأيتان (9.8).

(25) الألوسي، محمود شكري، المصدر السابق، ج3، ص42.

(26) امرؤ القيس، ديوانه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار المعارف بمصر 1969م، ص 13، 29. وبيضة الخدر: المرأة، لبياضها ورقتها، يُشرِون: يظهرون، خط تمثال: أي نقش صورة، الذبال: الصانعون للفتائل، وانظر بقية الأبيات في الموضع نفسه.

(27) المصدر السابق نفسه.

(28) انظر المفضليات، المصدر السابق، القصيدة رقم (20). النثا: الخير، الحليل: الزوج.

(29) القالي، الأمالي المصدر السابق، ج2، ص222،221، سَراة القوم: فضلاؤهم، مفردها سَرِيّ على وزن فعيل.

(30) الخنساء ، ديوانها (بيروت) ص 48-50، نشتو: أي ندخل في وقت الشتاء، وهو أشد ما يكون الناس حاجة للطعام، تأتم: تهتدي، العلم: الجبل، الراغية: الناقة، العانية: الأسيرة، المؤتشب: المختلط النسب، المريرة: إبرام الرأي.

(31) الجاحظ، الحيوان (الحلبي)، ط2 تحقيق عبد السلام هارون، ج2 ص94-96، والتعمل: التكلف.

(32) لبيد، ديوانه سلسلة التراث العربي الكويت، تحقيق إحسان عباس ص 319-320، اللِّزاز: السيد الذي يلتزم القيام بالأمر، الجَشام: المتكلف بالأمور، أي المحتمل.

(33) الطائي، حاتم، ديوانه (بيروت) ص64، الغرير: الشاب الذي لا تجربة له.

(34) زهير ، ديوانه (صنعة ثعلب) ص113-115.

(35) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، المصدر السابق، ج2 ص750.

(36) الطبري، ابن جرير، (تاريخه)، دار المعارف بمصر، ج2 1961 م ص 253. الغرائر: جمع غرارة وهي الجوالق، متأقات: مملوءات، البُرّ النفيض: القمح الكثير الجيد، اللحم الغريض: اللحم الطري، الشيزى: جفان اللحم وهي من خشب الشيزى، حائرها: أطرافها.

(37) الفيروز أبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، مادة (الأبيض).

(38) ابن سلام، محمد، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر ص 239. رواء: عذب، بئر جمة: كثيرة الماء مرتفعة، كأمثال الأكف: يصف التمر في عناقيده كأنه الأصابع المستوية الملساء، الصرير الصوت الصافر، المَحال: جمع محالة وهي البكرة، أهازيج: أغانٍ.

(39) القالي، أبو علي، الأمالي، المصدر السابق ج1 ص40،39.

(40) سبأ الآية 15.

(41) لبيد، ديوانه، المصدر السابق ص 318، الجنيب: الغريب، الأهضام: جمع هضم، وهي بطون الأودية ذات النخيل والفواكه.

(42) الحموي، ياقوت، معجم البلدان (دار صادر، بيروت) ج5 ص448.

(43) ابن سلام، محمد، طبقات فحول الشعراء، المصدر السابق، ص 219-220، مرتفقاً: متكئاً، غُمدان: قصر غمدان قصر عظيم بصنعاء، كانت تنزله ملوكهم، محلال: سهلة ليّنة.

(44) الأصمعي، عبد الملك بن قُرَيب، القصيدة رقم (14) ص 60.

(45) الذبياني، النابغة، ديوانه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ص 47، يقال: فلان طيب الحُجْزة أي عفيف، السباسب: من أعياد النصارى، الولائد: الجواري، مفردها وليدة، الإضريج: الخز الأحمر، المشاجب، جمع مشجب، وهو عود تعلق عليه الثياب، خضر المناكب: قيل هذا لباس الملوك.

(46) الضبي، المفضل، المفضليات، المصدر السابق، القصيدة رقم (42) ص 211، الإتاوة: الخراج، المكس: الضريبة تؤخذ من البائعين في الأسواق زمن الجاهلية.

(47) الحطيئة، ديوانه، تحقيق نعمان طه، ط1، 1378 هـ، 1958م (الحلبي) ص379.

(48) ابن أبي سلمى، زهير، ديوانه، المصدر السابق ص 130-136، يدب: يمشي على هينته، يضائله: يخفيه ويواريه، الشياه: الحمر الوحشية، مستأسد القريان: النبت الطويل في مسايل الما، الحُوّ: النبات الضارب إلى السواد.

(49) الجاحظ: الحيوان ، المصدر السابق ج2 ص310، الخميس: الجيش، المُرَبِّق: الصائد بالربق، وهي العروة في الحبل، المُكَلِّب: الصائد بالكلاب.

(50) الأعشى، ديوانه، شرح د. محمد محمد حسين، المطبعة النموذجية، القاهرة، القصيدة رقم (34) ص 231، تكريت: من مدن العراق، الأجُد: القوية، الموصد: المغلق، ينفد: ينتهي.

(51) الذبياني، النابغة، ديوانه، المصدر السابق ص 170، الربذة: الخرقة التي يمسح بها الصائغ الحلي، يقال للرجل إذا لم يكن عنده خير: ما أنت إلا ربذة من الربذ.

(52) خليف ، يوسف، أنظر كتابه (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ص 339.

(53) ابن الورد، عروة، ديوانه، تحقيق عبد المعين الملوحي ص 115-117، الحيازيم: جمع حيزوم، وهو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر، الهجمة: المجموعة من الإبل ما بين 50-60.

(54) حسين ، طه، في الأدب الجاهلي، المصدر السابق ص 76.

(55) البحتري، أبو عبادة حماسته (المطبعة الرحمانية)، ضبط كمال مصطفى، 1929م ص 18، قصير: رجل من العرب كان على زمن الزَّبَّاء، جدع أنفه ليخدعها بعد أن تآمر عليها هو وعمرو بن عدي ابن أخت جذيمة الأبرش. وقد قيل في الأمثال العربية : (لأمرٍ مَّا جدع قَصيرٌ أنفَه) ، بيهمس: يضرب به المثل في إدراك الثأر.

(56) الضبي، المفضل، المفضليات، المصدر السابق، القصيدة رقم (106)، عليا هوازن: بنو سعد بن بكر، الحقيقة: ما يحق عليهم منعه من الجور والاعتداء، المزنوق: حصانة، المنيح: قدحُ تكثر به القداح، ولاحظ له فيها، وكلما خرج أعيد إليها، أزورً :مال

(57) ابن حبيب، محمد، المحبر، المصدر السابق، ص 354، البواذخ: جمع باذخ، شَمام:اسم جبل، الباذخ من شمام أي ذراه، بنو تيم: فرع من جديلة طيئ:

58) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، سيرته (الحلبي) تحقيق مصطفى السقا وزميليه ج1 ط2 1375 هـ، 1955م، ص134.

(59،60) الآلوسي، محمد شكري، بلوغ الأرب، المصدر السابق، ج1 ص 276،275، الورقاء: الحمامة، الفنن: الغصن، الكُتمان: نبتٌ يخلط بالحناء ويخضب به الشعر فيبقى لونه.

(61) القالي، أبو علي، ذيل الأمالي ج3، ص 36.

(62) القالي، أبو علي ، الأمالي ج2 ص154، الجُزرَ: جمع جَزُور وهي الناقة التي تذبح للضيفان، الأُزرُ : جمع إزار.

(63) عنترة: ديوانه، المصدر السابق، ص307، 308.

(64) ابن العبد، طرفة، ديوانه، تحقيق علي الجندي، مكتبة الأنجلو مصرية ص 79، المشتاة: وقت الشتاء، الآدب: الداعي إلى المأدبة وهي الطعام، الجفَلى: الدعوة العامة، ينتقر: يدعو النَّقَرى وهي الدعوة الخاصة الفردية.

(65) الطائي، حاتم، ديوانه، المصدر السابق، ص 63، يكنها: يسترها، المستوبص: المستضيئ بالنار ليلاً.

(66) المصدر السابق.

(67) الحوفي، أحمد، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ط3، مطبعة نهضة مصر بالفجالة ص 248.

(68) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، المصدر السابق ص77.

(69) الطائي، حاتم، ديوانه، المصدر السابق ص 36،35 ، أقود: بخيل.

(70) الطائي، حاتم، ديوانه (نشر شولتهس) ص47.

(71) ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، مادة (مدر)، ومدره: ملأة بالطين والتراب.

(72) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، المصدر السابق، ج1 ص 315.

(73) العسقلاني، ابن حجر، الإصابة ، ج3، (طبعة بالأوفست)، مكتبة المثنى ببغداد، ص 405.

(74) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، المصدر السابق، ج1 ص 449، التنفج: مثل الانتفاخ، الحُبْوَة: أن يجلس وقد شبك أصابعه على ركبتيه.

(75) أنظر تفصيل ذلك في بلوغ الأرب للألوسي، ج2، ص 3-6، وفيه أن الزواج عند أهل الجاهلية كان على أربعة أنواع، فأحدها وهو الذي يشبه الزواج الإسلامي أن يخطب الرجل إلى الرجل وليته أخته أو بنته، ويعين مهرها، وإذا حصل القبول زفت إلى بعلها مشيعةً بالدعاء والنصيحة. والثاني زواج الاستبضاع، وهو أن يطلب الرجل من امرأته إن طهرت من حيضها، أن ترسل إلى رجل معين تطلب منه مواقعتها لتحمل منه، رجاء تحسين النسل. والثالث وهو زواج الرهط مادون العشرة يدخلون على المرأة كلهم يصيب منها، فإذا حملت ثم وضعت دعت هؤلاء جميعاً ثم ألحقت ولدها بمن تعينه منهم لا يستطيع أن يمتنع منه. والرابع وهو الزواج من البغايا صويحبات الرايات، إذ يجتمع إلى المرأة منهن الناس، فلا تمتنع من أحدهم، فإذا حملت دعوا لها القافة، فيلحقون ولدها بمن شاؤوا ممن أصابها، فلا يستطيع أن يمتنع من ذلك.

(76) امرؤ القيس، ديوانه، المصدر السابق ص 27 وما بعدها، بسباسة: اسم إحدى خليلاته، أصبي: أستميل وأستغوي، يُزَنُّ: يُتَّهمُ، التمثال: الدُمية، ابتزها: نزع عنها ثيابها، المجبال: الضخمة الجسم الثقيلة الحركة، سموت لها: نهضت لها، الحباب: الفقاقيع، حالاً على حال: شيئاً بعد شيء.

(77) أنظر ج2 من بلوغ الأرب للألوسي ص 4. وفي زواج الاستبضاع، أنظر ما أشرت إليه قبل قليل (هامش 75).

(78) ابن كثير تفسيره (الحلبي) ج 3 ص 289 وذلك في تفسير الآية 33 من سورة النور.

(79) المصدر السابق، ج2 ص 97.

(80) ابن الأنباري، محمد بن القاسم، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، 1963م، ص 371-373، الصحن: القدح الكبير، الآندرين: قرية بالشام كثيرة الخمر، مشعشعة: مرققة، مصفاة، الحص، الورس، سخينا: أصبحنا أسخياء، اللحز: الضيق، البخيل.

(81) المصدر السابق ص 194، عُوَّدي: زواري، العاذلات: اللائمات، كميت: يضرب لونها إلى الحمرة، وهي الخمر، الصدي: العطشان.

(82) القالي، أبو علي، الأمالي، المصدر السابق، ج1، ص 148، العكنة: ما تثنى وانطوى من لحم البطن.

(83) المصدر السابق نفسه.

(84) المرزوقي، شرح حماسة أبي تمام، ج2، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ص 826.

(85) المصدر السابق، ج1، ص22-31.

(86) ابن الأنباري، محمد بن القاسم، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، المصدر السابق ص 421-425، يقتن: يطعمن، من القوت، البعولة: الأزواج، الظعائن: النساء، القُلين: مفردها قُلَة، وهي خشبة يلعب بها الصبيان.

(87) المرزوقي: شرح حماسة ابي تمام، المصدر السابق، ج3 ص 1546، ووحشوا بالأبرق: أي ارموا بسلاحكم بعيداً، أو كونوا مع الوحش استحياء من فعلكم.

(88) أنظر كتاب إحسان النص: (العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي) ص 139.

(89) جاد المولي وزميليه، أيام العرب في الجاهلية ، ط2 (الحلبي)، 1373هـ، 1953م، ص 94-139.

(90,91) المصدر السابق، ص 110، 112 على الترتيب، السهاد: النوم، مشهرات: مصلتات.

(92) امرؤ القيس، ديوانه المصدر السابق، ص 261، القلل: جمع قلة، وهي أعالي الجبال، ربها: صاحبها وهو ملكها، جلل: هيِّن، وهي من ألفاظ التضاد تعني العظيم والحقير، وهي هنا تعني الحقير. وانظر في معناها بشكل عام القاموس المحيط مادة (جَل)، وفي ما تعنيه هنا أنظر ديوانه المذكور.

(93) امرؤ القيس ديوانه، تأليف حسن السندوبي، ص 175.

(94) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، المصدر السابق، ج1، ص 120.

(95) أنظر في تفصيل هذه الأيام، كتاب: (أيام العرب في الجاهلية) لجاد المولى وزميليه، كُلاً في مكانه.

(96) القالي، أبو علي، الأمالي، المصدر السابق ج2، ص 130,129 ، تحوري: ترجعي، زير: عاشق للنساء وملازم لهن، قرَّ عيناً: رضي، بجيراً: هو ابن الحارث بن عُباد، العبير: المسك، رحيا: مثنى رحا، وهي الطاحون.

(97) عنترة، ديوانه، المصدر السابق، ص 224، تطرف: ترد، المشعلات الغواشي: المحيطة بالقوم، العوالي: الرماح، مفردها عالية.

(98) ابن أبي سلمى، زهير، ديوانه، المصدر السابق، ص 15.14، البيت: الكعبة، السحيل: الضعيف، المبرم: القوي، منشم: اسم امرأة يُتَشَاءَمُ بها.

(99) ابن الخطيم، قيس، ديوانه، تحقيق د. ناصر الدين الأسد، ص88

(100) جاد المولى وزميلاه، أيام العرب في الجاهلية، ص 53,52، السُّوقة: العامة.

(101) الذبياني، النابغة ، ديوانه، المصدر السابق ص 45، حليمة: بنت الملك الغساني، الحارث بن أبي شمر. وجّه أبوها جيشاً إلى المنذر بن ماء السما، فأخرجت للجيش مَرْكناً من طيب فطيبتهم به، فقالوا: ما يوم حليمة بسر. يُضرب للأمر المتعالَم المشهور: أنظر القاموس المحيط، مادة (الحلم)، وجدير بالذكر أن يوم عين أباغ، كان قبل يوم حليمة، وقد توفي المنذر بن المنذر بن ماء السماء، ملك الحيرة الذي أنهزم في يوم حليمة سنة 582م. وأما الملك الغساني صاحب يوم حليمة الذي حارب المناذرة في عين أباغ فقد توفي سنة 556م، فلول: تكسر وتثلم، القراع: المضاربة، مصدر قارعته أي جالدته بالسيف.

(102) التيمي، محمد بن يوسف، المسلسل ص 165، صلاح: اسم من أسما مكة المكرمة.

(103) الألوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب المصدر السابق، ج1، ص245,244، وعمرو: اسم هاشم، مسنتون: مجدبون، عجاف: هزلى.

(104) ابن الجوزي، زاد المسير، ج6، ص 316.

(105) المعري، أبو العلاء، رسالة الغفران، تحقيق بنت الشاطئ، ص 562 متناً وحاشية.
(106) المصدر السابق نفسه.
(107) المصدر السابق نفسه.
(108) القرطبي، تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) ج20، ص204.
(109) جاد المولى وزميلاه، المصدر السابق، ص 2، 326 على الترتيب.
(110) المصدر السابق نفسه.
(111) ص ٣٢ من الكتاب المشار إليه.
(112) الذبياني، النابغة، ديوانه المصدر السابق ص 20 .
(113) ابن ثابت، حسّان، ديوانه، شرح البرقوقي، ص 308، جلّق، يقال: هي دمشق، جفنة: أبو ملوك الغساسنة، مارية أمهم.
(114) أيام العرب في الجاهلية، المصدر السابق، ص 102.
(115) ابن رشيق، العمدة، المصدر السابق، ج1 ص 57، خبطت: أعطيت، ذنوب: نصيب، وهو في الأصل، الدلو.
(116) ج3، ص38.
(117) ج2، ص36.
(118) امرؤ القيس، ديوانه، المصدر السابق، ص 61 وما بعدها، وصاحبه: عمرو بن قميئة الشاعر، والدرب: ما بين بلاد العرب والعجم.
(119) ابن الشجري، أمالية، ج1، ص169، شالت نعامته: انهزم.
(120) القالي، أبو علي، ذيل الأمالي والنوادر، ج3، ص65، ونسب البيت لهانئ بن أبي الحديد، أم الرّقوب: الداهية.
(121) أيام العرب في الجاهلية، المصدر السابق، ص 37، الإسوار: قائد الفرس.
(122) انظر: (في الأدب الجاهلي)، المصدر السابق، ص 75.
(123) الآلوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب، ط3، مطابع دار الكتاب العربي بمصر،1342هـ،ج1، ص 344-345.
(124) أبن هشام ، أبو محمد عبد الملك، السيرة، المصدر السابق، ج1، ص76.
(125) نوح آية 23.
(126) ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، الأصنام، تحقيق أحمد زكي، نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب 1343هـ، 1924م، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ص 57.
(127) التيمي، أبو الطاهر، المسلسل، ص 166.
(128) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، سيرته، المصدر السابق، ج2، ص 481, 482.
(129) ابن كثير، السيرة النبوية، (الحلبي)، ج4، ص254.
(130) ابن ثاتب، حسّأن، دوانه، شرح البرقوقي، ص 201، وهو يمدح قريشاً في الجاهلية، وفي رواية: ومناةِ بالكسر على القسم.
(131) المرتضى، أمالية، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (الحلبي) ، ج1، 265.
(132) الآلوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب، المصدر السابق، ج1، ص354.
(133) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص172، مادة (إسبذ). إذ أن كلمة (إسب)، تعني بالفارسية الفرس، وزيدت الذال تعريباً. وقد سمي ولد عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمون بالإسبذيين، لأنهم كانوا يعبدون فرساً.
(134) المعري أبو العلاء، رسالة الغفران، تحقيق بنت الشاطئ، ص422.
(135) الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، القاهرة (مصورة طبعة دار الكتب) ، ج2، ص 111.
(136) الذبياني، النابغة، ديوانه، المصدر السابق، ص 47.
(137) انظر في تفصيل ذلك: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر (دار المعارف بمصر) ص 235, 248.
(138) ابن ثابت، حسان، ديوانه، شرح البرقوق، ص 147، والعروق: الأصول، فه الفؤاد: غبي.
(139) البقرة آية 135.
(140) المعري، أبو العلاء، رسالة الغفران، المصدر السابق، ص 542، بور: باطل.

(141) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، سيرته المصدر السابق، ط2، ص 76.

(142) عبد الرحمن، إبراهيم، الشعر الجاهلي، قضاياه الفنية والموضوعية، ص39.

(143) الضبي، المفضل، المفضليات، المصدر السابق، رقم القصيدة (31) البيت (16) ص 61.

(144) الذبياني، النابغة، ديوانه، المصدر السابق، ص 36,35، ذو إمة: ذو دين، المصطحبات: نياق الحجيج، لصاف وثبرة: موضعان في ديار بني تميم، الإل: عرفات.

(145) ابن حبيب، محمد، المحبر، المصدر السابق، ص323.

(146) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك سيرته، المصدر السابق، ج1، ص226,232 على الترتيب.

(147) المصدر السابق نفسه.

(148) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، المصدر السابق، ص 73,72.

(149) الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي، ط4، دار المعارف بمصر، 1969م، ص 376.

(150) ابن ثابت، حسّان، ديوانه، شرح البرقوقي، ص 423.

(151) الجاحظ، الحيوان، المصدر السابق، ج6، ص 358,357، بوهة: ضعيف، لئيم، الأحسب: الذي فسد شعره، مرسعة: فاسد العين.

(152) ابن الأنباري، كمال الدين، نزهة الألبا في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس ببغداد، ط2 تشرين الثاني 1970، ص 122.

(153) القالي، أبو علي ، الأمالي، المصدر السابق، ج2، ص217.

(154) ابن الأبناري، محمد بن القاسم، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، المصدر السابق، ص454.

(155) المصدر السابق نفسه.

(156) القالي، أبو علي، الأمالي، المصدر السابق، ص 2، ص238.

(157) الذبياني، النابغة، ديوانه، المصدر السابق، ص89، وانظر رواية البيت الأول في المصدر نفسه ص 246.

(158) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، المصدر السابق، ج1، ص 459.

(159) ثعلب، مجالسه، شرح عبد السلام هارون وتحقيقه، ط3، دار المعارف بمصر ص 97، وانظر مادة (رتم) في معجم البلدان.

(160) ابن هشام، جمال الدين، مغني اللبيب، ج1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ص 314. والبيت الشاهد رقم (529) في هذا المصدر.

(161) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، سيرته، المصدر السابق، ج1، ص 91,90,89. على الترتيب، الأخرج: الظليم وهو ذكر النعام، المرباع: الذي رعى الربيع، قرقرة: صوت فيه ترجيع ، الديافي: نسبة إلى دِياف: قرية بالشام، وهو الفحل من الإبل، الهجمة: القطعة من الإبل، البُحُر: جمع بحيرة، وهي المشقوقة الأذن، وانظر البيت في دوانه تميم بن أبي بن مقبل رقم (62) شرح مجيد طراد، دار الجيل بيروت ط1 1418هـ ، 1998م، ص56. وهو يصف هنا ذكر النعام الذي فاجأة في هذه الروضة وهو يهدر كما يهدر الفحل النجيب من الإبل.

(162) المصدر السابق نفسه.

(163) المصدر السابق نفسه.

(164) الأنصاري، أبو زيد، النوادر في اللغة، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط2 1387هـ ، 1967، ص2

(165) أبن أبي سلمى، زهير، ديوانه المصدر السابق، ص31.

(166) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، ص74,73.

(167) القيسي، نوري ، تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، ص٤٤ وما قبلها وما بعدها.

(168) الحوفي أحمد، مقالته: (دراسات في الشعر الجاهلي) في مجلة الشعر، العدد الثالث، يوليو 1976م، ص 78، العمود الثاني.

(169) البهبيتي ، نجيب، تاريخ الشعر العربي، حتى نهاية القرن الثاني للهجرة، ص46

مصادر البحث ومراجعه

أ –المصادر

(1) الأعشى، ديوانه، تحقيق محمد محمد حسين، المطبعة النموذجية، القاهرة..

(2) الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني (مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية) ج2، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطابع كوستا تسوماس.

(3) امرؤ القيس، ديوانه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار المعارف بمصر، 1969م، وديوانه تحقيق حسن السندوبي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ط4، 1375هـ ، 1959م.

(4) ابن الأبناري، كمال الدين، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس، بغداد، ط2، تشرين الثاني 1970م.

(5) ابن الأنباري، محمد بن القاسم، القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، 1963م.

(6) البحتري، حماسته، المطبعة الرحمانية، ضبط كمال مصطفى.

(7) الجاحظ، الحيوان (الحلبي) ج2، ط2 تحقيق عبد السلام هارون.

(8) حاتم الطائي، ديوانه، بيروت.

(9) ابن حبيب، المحبر، رواية أبي سعيد السكري، صححه إيلزة ليختن، منشورات المكتب التجاري، بيروت.

(10) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج3 (طبعة بالأوفست) مكتبة المثنى ببغداد.

(11) حسان بن ثابت، ديوانه شرح البرقوقي.

(12) الحطيئة، ديوانه، تحقيق نعمان طه، ط1، القاهرة (الحلبي) ، 1378هـ، 1958م.

(13) ابن رشيق، العمدة، ج1 تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط2، 1374هـ، 1955م.

(14) زهير بن أبي سلمى، ديوانه، صنعة ثعلب (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب) سنة 1363هـ ، 1944م، نشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة،1384هـ، 1964م.

(15) أبو زيد الأنصاري، النوادر في اللغة، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1387هـ، 1967م.

(16) ابن سلام، محمد، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر، 1952م.

(17) الطبري، محمد بن جرير، تاريخه، دار المعارف بمصر، ج2، 1961م.

(18) طرفة بن العبد، ديوانه، تحقيق علي الجندي، مكتبة الأنجلو مصرية.

(19) عروة بن الورد، ديوانه، تحقيق عبد المعين الملوحي.

(20) أبو العلا المعري، رسالة الغفران، تحقيق بنت الشاطئ.

(21) عنترة، ديوانه، تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، 1390هـ، 1970م.

(22) الفيروز أبادي، مجد الدين، القاموس المحيط(مقته)، (الأبيض).

(23) القالي، أبو علي، الأمالي، مطبعة السعادة بمصر، 1373هـ ، 1953م.

(24) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر وشرحه، ج1، دار المعارف بمصر.

(25) قيس بن الخطيم، ديوانه، تحقيق ناصر الدين الأسد، ط١، القاهرة، 1381هـ، 1962م، ط2 بيروت 1387هـ، 1967م.

(26) ابن كثير تفسيره (الحلبي)، ج2.

(27) ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، الأصنام تحقيق أحمد زكي (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب) 1343هـ، 1924م،الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

(28) لبيد بن ربيعة العامري، ديوانه، تحقيق إحسان عباس، سلسلة التراث العربي، الكويت.

(29) المرزوقي، أبو علي، أحمد بن محمد بن الحسن، شرح الحماسة لأبي تمام، ج2 القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1، 1373هـ ، 1953م.

(30) المفضل الضبي، أبو العباس بن محمد، المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، 1964م.

(31) النابغة الذبياني، ديوانه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.

(32) ابن هشام، جمال الدين، مغني اللبيب، ج1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

(33) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية ج1 تحقيق مصطفى السقا وزميليه، ط2 (الحلبي) 1375هـ، 1955م.

(34) ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ج1 دار صادر بيروت.

ب – المراجع:

(35) الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي، ط٤، دار المعارف بمصر 1969م.

(36) الألوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج2 ط3، عني بتحقيقه محمد بهجة الأثري، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، 1342هـ.

(37) البهيتي، محمد نجيب، تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني للهجرة.

(38) جاد المولى، محمد أحمد، أيام العرب في الجاهلية، ط2 (الحلبي) 1373هـ 1974م.

(39) الجبوري، يحيى ، الجاهلية، مطبعة المعارف ببغداد، 1388هـ، 1968م.

(40) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، دار المعارف بمصر، 1962م.

(41) الحوفي، أحمد، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ط3، مطبعة نهضة مصر بالفجالة.

(42) الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ج1 ط4، دار الكتاب العربي، بيروت 1394هـ، 1974م.

(43) القيسي، نوري حمودي، تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، دار الحديث للطباعة بغداد، 1399هـ، 1979م.